# التقوى

المجلد ٣٩ – العدد ٢

ذو الحجة ومحرم ١٤٤٧هـ، يونيو – حزيران / ٢٠٢٦

**إسلامية شهرية**

تصدر عن

المكتب العربي

بالجماعة الإسلامية

الأحمدية العالمية،

المملكة المتحدة

**رئيس التحرير**

أبو حمزة التونسي

**هيئة التحرير**

عبد المؤمن طاهر

عبد المجيد عامر

محمد طاهر نديم

محمد أحمد نعيم

مير أنجم برويز

**الهيئة الإدارية**

نصير أحمد قمر

منير أحمد جاويد

عبد الماجد طاهر

**مشرف الموقع**

نفيس أحمد قمر

**الاتصالات:**

Al Taqwa,
22 Deer Park Road,
London SW19 3TL,
United Kingdom

e: info@altaqwa.net

الاشتراك السنوي ٢٠ جنيها استرلينيا
أو ما يعادل ذلك بالعملة الصعبة
تكتب الحوالات المصرفية والبريدية
باسم ASI Ltd

© جميع الحقوق محفوظة
للشركة الإسلامية الدولية

ISSN 1352 - 9463

لا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّٰهِ

"التقوى" النسخة الإلكترونية

altaqwa.net

**مواد دينية، ثقافية،**
**تاريخية وعلمية في غاية الأهمية.**

**إخـــلاء المســـؤولية:** تبـذل مجلـة التقـوى جهدهـا لضـمان دقـة المعلومـات والمـواد المنشـورة عـبر منصاتهـا، والتـي هـي نتـاج سـعي كاتبهـا إلى إبـداء وجهـة نظـره انطلاقـا مـن أسـس الجماعـة الإسـلامية الأحمديـة التـي لا يملـك حـق تمثيلهـا سـوى سـيدنا المسـيح الموعـود والإمـام المهـدي (عليـه الصـلاة والسـلام) ومـن بعـده خلفائـه الأطهـار حـصرًا، فتحظـى المـادة بالموافقـة عـلى النـشر بقـدر مـا يوفَّـق كاتبهـا للبحـث والتمحيـص، إلا أن مجلـة التقـوى لا تقـدم أي ضـمان صريـح أو ضمنـي حـول مـا تنـشره مـن مـواد، وإن كانـت تسـعى بنفسـها للتأكـد مـن دقتهـا. لـذا فـإن أي خطـأ قـد يصـدر مـن الكاتـب فهـو عـلى مسـؤوليته الشـخصية، ولا تُحَمَّـل الجماعـة الإسـلامية الأحمديـة أو إدارة «التقـوى» تَبِعَاتـه.

# المحتويات

يونيو 2026 | المجلد 39 | العدد 2

ذو الحجة ومحرم 1448 هـ /حزيران - يونيو 2026

2 | **كلمة التقوى**
١٤٤٨ هـ.. ذكرى تتجدد، وألم يتردد، وأمل يتولد

4 | **في رحاب القرآن**
حكمة الإمهال الإلهي ودور الشياطين
في إضلال الكافرين

8 | **من نسائم الروضة النبوية الشريفة**
من هَدْيِ نبيِّ الصُّلْح والإصلاح

9 | **هكذا تكلم المسيح الموعود**
علاقة فساد الزمان بدعوى التجديد

10 | **فتح العراق والأحواز، ومشاهد من أمانة المسلمين وعدالتهم** خطبة الجمعة ٣٠/ ٧ / ٢٠٢١ م

18 | **دين السلام أم دين الحرب؟!**
سامح مصطفى

22 | **ظاهرة وأد البنات في الجاهلية، وبراءة عمر بن الخطاب ﷺ من ممارسته**
عائشة أحمد البراقي

26 | **مع الإدريسي، جغرافية العالم في نزهة**
د. منى محمد

30 | **املك زمام شهيتك!**
د. ثمر حفيظ

34 | **نحو فهم أعمق للإسلام في عصر الالتباس**
د. سلام علي البراقي

على الرغم من كم المآسي التي مُنيَت بها الأمة على مر تاريخها، إلا أن عامًا جديدا هو فرصة جديدة لبداية جديدة، فرصة للالتفاف حول القيادة الروحية التي تمثلها اليوم الخلافة الراشدة الثانية على منهاج النبوة.

# 1448هـ..
# ذِكْرَى تَتَجَدَّد،
# وَأَلَمٌ يَتَرَدَّد، وَأَمَلٌ يَتَوَلَّد

**تتجدد** الذكرى، ويتجدد الألم، ومع هذا لا ينعدم الأمل! إنها الذكرى الثامنة والأربعون بعد القرن الرابع عشر في التقويم الهجري، ذكرى يُفْتَرَض أن تكون سعيدة، كونها فاتحة عام جديد على أمة الإسلام، لولا أن تلطخت صفحتها بدماء مُطهَّرة زَكيَّة؛ فقد أصبحنا مع مطلع كل عام هجري جديد، لا ندري، أنبتهج حبورًا بحدث الهجرة المبارك؟! أم نبتئس ألمًا بتذكُّر واحدة من أفدح تبعات الفتنة الكبرى في تاريخ الإسلام.

ويحل علينا العام ١٤٤٨ الهجري برفقة صيف حار، لم تعد فيه الحرارة مجرد ظاهرة مناخية مرتبطة بهذا الفصل من فصول السنة الأربعة الذي يلفح وجه منطقة الشرق الأوسط، بل أضحت استعارة دالة على حالة الغليان التي تعيشها تلك المنطقة؛ فبين حرارة الشمس اللاهبة وحرارة النزاع العسكري المحتدم، يجد الإنسان العربي والمسلم نفسه محاصرًا بنيران لا تُبْقِي ولا تَذَر. إن ما شهدناه من تصعيد عسكري وسيـــاسي ليس مجرد صراع على حدود أو موارد، بل هو صراع هيمنة تتجلّى فيه مأساة الصراعات الأيديولوجية والمذهبية الشّيِ ـ سُنِّيَّةِ القديمة، والتي على الرغم من قِدَمِهَا، لا يدخر أعداء الإسلام جهدًا في إذكاء جذوتها التي لم تكد تنطفئ، فينفخون فيها بين الفينة والفينة، ويوظفون في سبيل هذا المسعى الخبيث الحمقى المنتسبين إلى كلا المذهبين الكبيرين اللذَيْنِ يكادان يمثلان شطري تعداد المسلمين، إذا نظرنا إلى المسألة من منظور عددي بحت. ومهمة هؤلاء وهؤلاء تتمثل في استدعاء مآسي الماضي ونكباته لتبرير دماء الحاضر وأطماعه! مع أن استغلال الاختلافات الفقهية والمذهبية والتاريخية، وتحويلها إلى وقود لحروب عسكرية، لهو الانحراف الأخلاقي بعينه، الذي فَتَّ في عضد الأمة وأضاع بوصلتها، فصيَّرها فريسة للتمزق الداخلي، في وقت تتقاذفها فيه أمواج الفوضى السياسية العالمية. إذن، فغير المسلمين هم سبب واقع الأمة التعيس وأكثر أزماتها وأعقدها، غير أن المسلمين أنفسهم أسهموا أيضا في صنع ذلك الواقع.[١]

وفي خضم هذه المآسي والنكبات ينتصب نظام الخلافة الراشدة على منهاج النبوة كمنارة روحية، طالما أسيء عبر العصور فهم إشاراتها الوامضة، وبات ذلك المشروع الإلهي المقدس محصورًا بين مطرقة الطمع الدنيوي والتشويه التاريخي. إن الخلافة، في جوهرها الذي تكشفه الجماعة الإسلامية الأحمدية، ليست نظام حكم مشحونا بالرغبة في الهيمنة، بل هي مشروع إلهي يمثل السبب الممدود بين السماء والأرض، والضرورة القصوى لصون إيمان الفرد ووحدة الأمة، وكان من مظاهر عنايتها بالأمة وسط هذا البحر الخضم من الصراعات، أن ألقى أمير المؤمنين حضرة مرزا مسرور أحمد (أيده الله تعالى بنصره العزيز) الخليفة الخامس للمسيح الموعود عليه السلام منذ شهرين خطبته عن الاضطراب العالمي والحاجة الملحة إلى وحدة المسلمين، تعليقًا على أحداث الساعة.

**بمناسبة حلول العام ١٤٤٨ الهجري، وانطلاقًا من الواقع المرير الذي تشهده الأمة في الوقت الراهن، ندعو المسلمين كافة، على اختلاف أعراقهم ومذاهبهم، ليستقلوا سفينة النجاة التي أكدت تجارب القرون بما لا يدع للشك مجالا أنها هي السفينة الوحيدة التي صُنِعت على عين الله ﷻ....**

فبالعودة مكررًا إلى ما يمكن استخلاصه من درس الفتنة الكبرى القاسي، نخلص لا محالة إلى أن أمة بلا قيادة روحية لن تعدو كونها جسدًا بلا روح، وعرضة للتلاشي أمام أول ريح عاصفة. وإذا كانت القيادات الدنيوية تُبنى على مصالح آنية، سرعان ما تزول بزوال شخوصها، فإن نظام الخلافة الروحية هو الكفيل بتبديل الخوف بالأمن كما نص على هذا الوعد الرباني في سورة النور: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا...﴾[٢]

لقد أثبتت التجارب التاريخية والمعاصرة أن من يتغطى بأعداء دينه وأمته فهو عريان؛ إذ طالما استغلت القوى المعادية للإسلام ما بين المسلمين من خلافات يمكن تجاوزها، في بث الفتن والقلاقل بدعوى أنهم قادرون على حمايتهم، حتى إذا ما حمي الوطيس اختفوا من الميدان، وأعلنوا أنهم يؤثرون السلام، ليتكرر المشهد الذي يحكيه التنزيل الحكيم: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ.﴾[٣].

فبمناسبة حلول العام ١٤٤٨ الهجري، وانطلاقًا من الواقع المرير الذي تشهده الأمة في الوقت الراهن، ندعو المسلمين كافة، على اختلاف أعراقهم ومذاهبهم، ليستقلوا سفينة النجاة التي أكدت تجارب القرون بما لا يدع للشك مجالا أنها هي السفينة الوحيدة التي صُنِعت على عين الله ﷻ، وناجٍ من استقلَّها، ونادم من تركها، وحينها لا ينفع الندم.

ندعو الله أن يجعل هذا العام الهجري الجديد مفتتحًا للأمن والأمان، وأن يُبَرِّد حرارة النزاعات ببرد السكينة والاطمئنان، وأن يبارك لنا في نظام الخلافة الرباني الذي صُنِع على عين الله وبيد قدرته ﷻ.

**الهوامش:**

١ – راجع: مرزا مسرور أحمد، الاضطراب العالمي والحاجة الملحة إلى وحدة المسلمين، خطبة الجمعة الموافق ٦ مارس ٢٠٢٦م، والمنشورة بصورة كتيب على موقع مجلة التقوى

٢ – (النور: ٥٦)

٣ – (الحشر: ١٧)

# حكمة الإمهال الإلهي ودور الشياطين في إضلال الكافرين

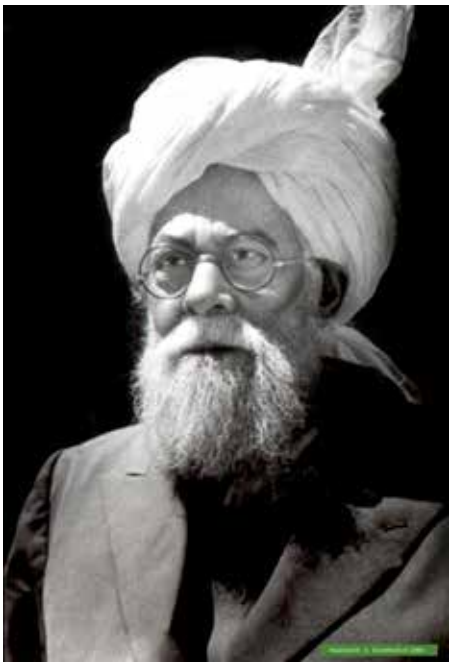

حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد ﷺ
الخليفة الثاني للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ

أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٤﴾

فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٥﴾

**﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾**
(مريم ٨٤)

**شرح الكلمات:**

**أَزًّا:** الأَزُّ هو غليان القِدْر في الأصل، ثم استُعمل بمعنى الإغراء (الأقرب). والأَزُّ أقوى من الهزّ (المفردات تحت أزّ).

**أرسلنا:** أرسله يعني بعَثه. ويعني أيضًا أطلقه وخلّاه. يقال أرسلتُ البعيرَ: خلّيتُ سبيله (انظُر الأقرب والقرطبي).

**التفسير:**

لقد بيّن الله تعالى هنا أن عملنا الأساسي هو حماية عبادنا من الشياطين، كما قال الله تعالى لإبليس في مكان آخر من القرآن الكريم ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ (الحجر ٤٣)﴾ (الحِجر: ٤٣)، ولكنا ننزع حمايتنا عن هذا النوع من الكفار، ونتركهم وشأنهم، ونخلي سبيل الشياطين ليهاجموهم كما شاءوا، فلا نريد أن نتدخل في شؤونهم أبدًا.

وقوله تعالى ﴿أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ لا يعني أنه تعالى يبعث الشياطين للهجوم عليهم، أو يرسلهم بنفسه وراء هؤلاء؛ بل المراد أنه تعالى يقيّد الشياطين في الأصفاد عادةً، أو يتصدى لهم إذا هجموا على عباده، ويحميهم منهم، ولكن هؤلاء الكفار هم من النوع الذي إذا هاجمهم الشيطان فإنه تعالى لا يدفعه عنهم، بل يخلي سبيله، ليفعل بهم ما شاء، لوجود نوع من الأنس والتجانس بين الفريقين حيث يحنّ الواحد إلى الآخر ويتلهف إليه شوقًا.

وكأن الله تعالى يبين هنا أنه يصفّد الشياطين في أول الأمر، أو إذا أرادوا الهجوم على عباده تصدى لهم دفاعًا عنهم، ولكنه يأتي فيما بعد حين يتخلى عنهم ويتركهم والشياطين. ذلك لأنه يتولد بين الشيطان وهؤلاء العباد نوع من التوافق والتجانس

**الحق أن المؤمنين يصابون بالقلق حين يتجاوز العدو الحدود في شره وعدوانه، فيُعرِبون عن غيرتهم تارة، ويقولون للنبي أو لخليفته أن يدعو على العدو بالهلاك، ويصدرون فتاوى الجهاد تارة أخرى. في حين أن الله تعالى يكون قد خطط لهلاك الأعداء خطة أخرى، فيأمر المؤمنين بعدم الاستعجال، لأن كل شيء سيتم في موعده، وسيحل عليهم العقاب من عنده حتمًا.**

والتوادّ حتى يحن الواحد منهما شوقًا لاحتضان الآخر؛ فلا يريد الله بعد ذلك أن يتدخل في شؤونهم.

أما قوله تعالى ﴿تَؤُزُّهم أَزًّا﴾ فله ثلاثة مفاهيم:

الأول: أن الشياطين تحرّضهم على المعاصي. ذلك لأن الشيطان إنما يغري الإنسان بما يتفق مع طبيعته، والبديهي أن الشيطان يحب الإثم والعصيان. فمثلا لو قيل إن المعلم يحث الطلاب حثًّا لفهِم السامع أنه يحرضهم على المذاكرة وطلب العلم. أو إذا قلنا مثلاً إن قائد فريق الكركيت يؤزّ اللاعبين أزًّا لكان المعنى أنه يحرضهم على إجادة هذه اللعبة وإتقانها. ولما كان عمل الشيطان الحث على الشر فكان معنى قوله تعالى ﴿تؤزّهم أزًّا﴾ أن الشياطين تغري هؤلاء بالمعاصي والآثام.

والثاني: أن الشياطين لا تزال تحرّضهم على المعاصي حتى يسقطوا في جهنم في آخر المطاف.

والثالث: أن الشياطين تحرضهم على التصدي للمسلمين والهجوم عليهم. ذلك لأن الشيطان إنما سيحرّضهم ضد عدوه، والبديهي أن عدوه الحقيقي هو المسلمون والإسلام؛ ولكن ليس بوسعه أن يهاجمهم مباشرة، لذا فهو يحرض أصحابه بأن هُبُّوا واحملوا على المسلمين.

**﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾** (مريم ٨٥)

**التفسير:**

أي ما دام الأمر كما بيّنا، وما دامت هذه هي مشيئتنا، فلا حاجة بكم أيها المؤمنون أن تخططوا لعقابهم، وتتخذوا شتى التدابير لمحاربتهم. إنما تعليمنا لكم هو ﴿فلا تعجَلْ عليهم﴾.. أي لا تتسرعوا في شأنهم فيما يخص نواياكم أو خططكم وتدابيركم أو هجومكم أو دعاءكم عليهم. ذلك لأن الله تعالى لم يحدد هنا أمرًا معينًّا ينهانا عنه، فلذا يمكن أن يراد هنا كل شيء يُستخدم ضد العدو من نية أو خطة أو تدبير هجومي أو مشاعر غيظ وألم أو دعاء.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: لماذا نُهينا هنا عن الاستعجال ضد العدو؟

والجواب أن الآية السابقة أخبرتنا أن الله تعالى نفسه قد خلّى سبيل الشياطين لتحريض هؤلاء الأعداء. كان الله تعالى قادرًا على أن يحمي العباد من هجمات الشياطين، ويفشل هجومهم، لأن من سنته ﷻ أن الشيطان إذا صال على عبده تصدى له دفاعًا عنه من صولته، ولكنه تعالى ما دام قد أمسك عن التدخل بين هؤلاء القوم والشياطين فلا بد أن يكون وراء ذلك حكمة إلهية. فلا يليق بالمؤمن القيام بما يتعارض مع الحكمة الإلهية، فيهبّ لمحاربة الذين قد أراد الله تعالى بمشيئته وحكمته أن يمدّ لهم حبل المهلة مدًّا.

غير أن هذا لا يعني أن يمتنع المؤمنون من اتخاذ مواقف سلمية أخرى ضد معارضي الإسلام، ولا يحملوا أي مشاعر غيرة ضد أعداء الحق، ولا يتخذوا تدابير مشروعة لإفشال

مكائد المتآمرين على الإسلام. وإنما ينهانا الله تعالى عن الرد على ما سبق بيانه في الآية الماضية.

لقد بين الله تعالى بقوله ﴿ألم تَرَ﴾ أن الظروف واضحة جلية لكم، ولو تدبرتم لأدركتم أن كل هذا إنما يتم وفق مشيئة إلهية خاصة.

علمنا من ذلك أنه إذا كان هناك أمر لا نعرف على وجه اليقين ما هي الخطة الإلهية بشأنه، أو إذا كان ثمة حدث يندرج تحت النواميس الطبيعية العامة، فيجوز لنا عندها الدفاع عن أنفسنا ضد هجوم العدو، ويحق لنا أن نتخذ ضده التدابير بحسب القانون. ولكن إذا رأينا جليًّا أن الله تعالى يعمل الآن بحسب مشيئته الخاصة خلافًا لسنته العامة فليس لنا إلا العمل بما أوصانا الله به في قوله تعالى ﴿فلا تعجَلْ عليهم﴾. فعندها يحرم على المؤمن حتى الدعاء على العدو أيضًا، واللجوء إلى أي تدبير. إنما يؤمر عندئذ أن يتحمل العدوان بصبر وثبات فحسب.

الحق أن المؤمنين يصابون بالقلق حين يتجاوز العدو الحدود في شره وعدوانه، فيُعرِبون عن غيرتهم تارة، ويقولون للنبي أو لخليفته أن يدعو على العدو بالهلاك، ويصدرون فتاوى الجهاد تارة أخرى. في حين أن الله تعالى يكون قد خطط لهلاك الأعداء خطة أخرى، فيأمر المؤمنين بعدم الاستعجال، لأن كل شيء سيتم في موعده، وسيحل عليهم العقاب من عنده حتمًا.

ثم يقول الله تعالى ﴿إنما نَعُدُّ لهم عَدًّا﴾.. أي أنكم تنامون غافلين عن عدوكم، ولكنا مستاءون منه لدرجة أننا نعد ساعات هلاكه عدًّا. وما دمنا نتربص به لكي نكسر عنقه، فلم تستعجلون خاصة وأنكم لا تقدرون على مقاومته.

انظر كيف أعطى الله تعالى هنا تعليمًا واضحًا وهامًّا بصدد الجهاد، وكيف تدعم هذه الآية تلك النظرية الرائعة التي قدمها مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية سيدنا المسيح الموعود عليه السلام بصدد الجهاد في هذا العصر. فقد بين الله تعالى في هذه الآية أنه سيأتي على المسلمين زمان يقول فيه فئة منهم أن لا سبيل لرقي الإسلام الآن إلا بالجهاد ضد هؤلاء الكفار وببذل الجهود لمحوهم بحد السيف. ولكن هؤلاء سيكونون على الخطأ، فإنما الطريق السليم والصحيح أن لا يتعجل المسلمون في مقاومة الأعداء، بل يتحملوا أذاهم بصبر وجلد، ولا يتخذوا إلا تدابير روحانية أي نشر الدعوة والدعاء وما إلى ذلك. وهذا بالضبط ما دعا إليه سيدنا المسيح الموعود عليه السلام الذي بعثه الله تعالى لإصلاح العالم، فأعلن للمسلمين في بيت شعر له بالأردية ما تعريبه:

كل من يخرج للحرب بعد سماع هذا الأمر سيلقى على أيدي الكافرين هزيمة نكراء. (التحفة الغولروية ص ٧٨)

لقد أوضح حضرته عليه السلام للمسلمين أنهم ما داموا لا يملكون أي قوة فكيف يكون الجهاد بالسيف فرضًا عليهم. عندما يحين وقت الجهاد بالقوة سيمكّن الله المسلمين من مقاومة العدو كيفما شاء.

فالمسيح الموعود عليه السلام قد عارض فكرة الجهاد السائدة بين المسلمين في هذا العصر، وهذه هي الحقيقة التي بيّنها الله تعالى في قوله ﴿فلا تعجَلْ عليهم﴾.

الحق أن رقي المسيحيين وازدهارهم الذي تتحدث عنه هذه السورة إنما كان مقدرًا لهم في المستقبل، بل قد أكد القرآن الكريم والحديث الشريف أنه مقدر لهم في الزمن الأخير بالتحديد. فثبت بذلك أن قوله تعالى ﴿فلا تعجَلْ عليهم﴾ ليس موجهًا إلى رسول الله ﷺ في الحقيقة، وإنما إلى المسلمين في الزمن الأخير، حيث أخبر الله تعالى أنه سيأتي عليهم زمان يتمنون فيه حرب المسيحيين برؤية رقيهم وازدهارهم. وبالفعل إنه لمن الغريب المدهش أن المسلمين ظلوا غافلين عن المسيحيين في الزمن الذي كانوا فيه قادرين على حربهم وكان المسيحيون بمثابة صيد في قبضتهم، ولكن حين ازدهر المسيحيون في العالم فكر المسلمون في جهادهم، مع أن المشيئة الإلهية كانت تقتضي منهم عندئذ العمل بقوله تعالى ﴿إنما نَعُدُّ لهم عَدًّا﴾، فكان

**الطريق السليم والصحيح أن لا يتعجل المسلمون في مقاومة الأعداء، بل يتحملوا أذاهم بصبر وجلد، ولا يتخذوا إلا تدابير روحانية أي نشر الدعوة والدعاء وما إلى ذلك. وهذا بالضبط ما دعا إليه سيدنا المسيح الموعود عليه السلام الذي بعثه الله تعالى لإصلاح العالم....**

الحريّ بهم أن يستغفروا الله تعالى على ما تقدم منهم من تقصير وغفلة، ويدعوه ﷻ دعاء مجملاً بأن يحميهم من فتنة المسيحيين في المستقبل، ويبدؤوا ضدهم الجهاد بالقرآن الكريم كفارةً عن غفلتهم السالفة، لكي يتم القضاء على القوة المسيحية ببركة القرآن الكريم. ولكن المسلمين نادوا بالجهاد بالسيف في غير أوانه، فأتاحوا بذلك للمسيحيين الفرصة للدعاية الزائفة ضد الإسلام، وكانت النتيجة أن آلاف المسلمين سقطوا ضحية لدعايتهم وارتدوا وتنصروا. إنا لله وإنا إليه راجعون. وكان سيدنا المسيح الموعود عليه السلام هو الوحيد الذي نبه المسلمين إلى خطئهم هذا، ولكنه تعرض بسببه لفتاوى التكفير حيث قيل إن هذا الشخص عدو للإسلام ولرقيه (مجلة «إشاعة السنة النبوية» مجلد ١٣ عدد ٤ إلى ١٢ عام ١٨٩٠ ص ٥-١٤٨). والحق أن الطريق الوحيد لرقي الإسلام في ذلك الوقت إنما هو نشر تعليم الإسلام الصحيح، لكي يفتحوا به قلوب فئة من المسيحيين، ويزيلوا سوء الفهم من قلوب فئة أخرى منهم. ولكن المؤسف أن المسلمين قد كافئوا حضرته عليه السلام على هذه الخدمة العظيمة بالسباب والشتائم بكثرة لم تكن - في رأيي - من نصيب أي من المبعوثين من عند الله تعالى. فأرى أن السباب والشتائم التي قد كالها له المشايخ في يوم واحد وفي جلسة واحدة لم يتعرض لها أي من الأنبياء في عشر سنين، بل لم يكن العلماء في العصور الخالية بذيئي اللسان مثل هؤلاء المشايخ أبدًا. وسننتقم منهم على ظلمهم بواسطة الرسول ﷺ يوم القيامة، فإنه ﷺ لا بد أن يبدي سخطه على هؤلاء الظالمين، وسيضع ضماد السكينة على قلوبنا الجريحة، إن شاء الله تعالى.

وليكن مفهومًا أن قوله تعالى ﴿فلا تعجَلْ عليهم﴾ لا يعني أن نكفّ عن الدعاء على أعداء الإسلام هؤلاء بأي شكل كان، إنما المراد أن على المؤمنين ألا يضيقوا منهم ذرعًا ولا يدَعوا اليأس يستولي عليهم؛ لأن هناك أدعية لا حرج فيها مبدئيًا. فمثلاً يجوز لنا تمامًا أن نقول يا رب اكسرْ شوكة المسيحيين كما قال سيدنا المسيح الموعود عليه السلام في دعائه عليهم في بيت شعر له فقال:

يا ربِّ سحِّقْهم كسَحْقِك طاغيًا

وَانزلْ بساحتهم لهدمِ مكانهم

(نور الحق: الجزء الأول ص ١٢٦)

ولكنه دعاء مبدئي، إذ لا علاقة له بأي عملية خاصة منهم، فلم يقل مثلاً يا رب، دمّرهم لأنهم قد شنوا الهجوم على فلان، وإنما هو دعاء مبدئي، حيث تمنى كسر شوكة المسيحيين. ولا بأس في القيام بمثل هذه الأدعية ضدهم، ولكن لا يجوز الدعاء عليهم بسبب فعل معين لهم.

وباختصار، إن الله تعالى قد أوضح في ﴿فلا تَعجَلْ عليهم﴾ مسألة الجهاد تمامًا، وبيّن أنه قد جعل لهلاك هؤلاء القوم موعدًا، وأنه تعالى يعدّ ساعات هلاكهم عدًّا. وعندما يحل ذلك الموعد سوف يبطش بهم بنفسه ﷻ. أما أنتم فماذا عسى أن تفعلوه؟ إنكم لن تستطيعوا أن تفعلوا شيئًا، بل نحن الذين نقوم بكل شيء.

# من نسائم الروضة النبوية الشريفة

## نبي الصلح والإصلاح

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ أَنَّ أَهْلَ قُبَاءٍ اقْتَتَلُوا حَتَّى تَرَامَوْا بِالْحِجَارَةِ، فَأُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِذَلِكَ فَقَالَ: «اذْهَبُوا بِنَا نُصْلِحُ بَيْنَهُمْ». (صحيح البخاري، كتاب الصلح)

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَامَ خَطِيبًا فَكَانَ فِيمَا قَالَ: «إِنَّ الدُّنْيَا خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَنَاظِرٌ كَيْف تَعْمَلُونَ أَلا فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ». (سنن ابن ماجة، كتاب الفتن)

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلاَةِ وَالصَّدَقَةِ». قَالُوا: بَلَى. قَالَ: «صَلاَحُ ذَاتِ الْبَيْنِ فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ». (جامع الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ)

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، وَلاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثِ لَيَالٍ». (صحيح البخاري، كتاب الأدب)

عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «أَلاَ إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلاَّ ذِكْرَ اللَّهِ وَمَا وَالاَهُ وَعَالِمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا». (جامع الترمذي، كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثَةٍ إِلاَّ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ». (صحيح مسلم، كتاب الوصية)

# هكذا تكلم المسيح الموعود

## علاقة فساد الزمان بدعوى التجديد

ربِّ ظهر الفساد في البرّ والبحر، والعمارات والصحراء، وأرى عبادَك في البلاء، وحيطانَك بالبيداء، ودينَك في البأساء والضرّاء، وأرى الإسلامَ كمحتاجٍ تَرِبَ بعد الإتراب، أو كشيخٍ مرتعش تباعدَ من زمان الشباب، أو كشُذّاذِ الآفاق، أو كغريبٍ تناهى عن الرِّفاق، أو كحُرٍّ ابتُلِيَ في الإرقاق، أو كيتيم سقط من الآماق. يميس الباطلُ في بُرْدِ الاستكبار، ويُلطَمُ الحقُّ بأيدي الأشرار. يسعون لإطفاء نوره سَعْيَ العفاريت، والله خيرٌ حافظًا ومَنْ لنا غير ذلك الخِرّيت؟ انْتهى أمرُ الدينِ إلى الكساد، وثارتْ بالأحداث حصْبةُ الفساد وجُذامُ الارتداد. خرجوا من قيود الشريعة الغرّاء، ونبذوا أنفسهم بالعراء. تركوا أسوةً حسنةً، واتّخذوا الفلاسفة الضالّة أئمّةً، واستحْلَوا كلامهم واستجادوا أوهامهم، وأُشرِبوا في قلوبهم عِجْلَ خيالاتِ اليوْرفين*، وما هم إلا كجسدٍ له خُوار، وما شُمُّوا عرْف العارفين.

وأيْمُ الله، قد كنت أُقمتُ من الله لأجدّد الدين بإذنه، وأجدعَ أنْفَ الباطل من مارِنه، وأُمرتُ لذلك من الله القدير البديع، فلبّيتُ دعوته تلبية المطيع، وبلّغتُ أوامره وبذلت فيها جهد المستطيع. فارتاب القوم بعَزْوتي، وأبوا تصديق دعوتي....

وأما أنا فما كنتُ أن آبى من أمر ربّي، أو أفتري عليه من تلقاء نفسي. هو محسني ومنعمي. أسبغَ عليّ من العطاء، وأتمّ عليّ من كلّ الآلاء، وأعطاني توفيقًا قائدًا إلى الرشد، وفَهْمًا مُدرِكًا للحقّ، وآتاني ما لم يُؤْتَ أحدٌ من الأقران، وإنْ هي إلا تحديث بآلاء الرحمن. هو كفلني وتولّى، وأعطى ما أعطى، وبشّرني بخير العاقبة والأُولى، ودنا مني وأدنى، وحمدني من عرشه ومشى إليّ، ورفعني إلى السماوات العُلى. وتلك كلها من بركات المصطفى، الظلُّ بأصله اقتدى، فرأى ما رأى. فالآن لا أخاف ازدراءَ قادحٍ، ولا هَتْكَ فاضحٍ، وأفوّض أمري إلى الله. إنْ أكُ كاذبًا فعليّ كذبي، وإنْ أَكُ صادقًا فإن الله لا يضيع أمر الصادقين. (دافع الوساوس ٧ و٨)

---

* أي الأوروبيين. (التقوى)

# فَتْحُ العِرَاقِ وَالأَحْوَازِ،
# وَمَشَاهِدٌ مِنْ أَمَانَةِ المُسْلِمِينَ وَعَدَالَتِهِمْ

الترجمة العربية لخطبة الجمعة التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز
الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام بتاريخ ٢٠٢١/٧/٣٠م
في المسجد المبارك بإسلام آباد، بريطانيا

**أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، آمين.**

**فتح المدائن، وتحقق نبوءة الخندق**

كان الحديث عن سيدنا عمر رضي الله عنه وعن الحروب في زمنه جاريا. يقول مرزا بشير أحمد رضي الله عنه في كتابه «سيرة خاتم النبيين» عن فتح المدائن: لقد أنبأ عنه النبي ﷺ في حياته بعلم من الله تعالى. فيقول مرزا بشير أحمد رضي الله عنه في بيان ذلك: عرضت في أثناء حفر الخندق صخرة لم تنكسر. كان الصحابة متعبين جدا بسبب الجوع منذ ثلاثة أيام، فجاؤوا إلى رسول الله ﷺ مضطرين وقالوا له إن هناك صخرة لا تنكسر. كان النبي ﷺ أيضا قد ربط حجرا على بطنه بسبب الجوع، ولكنه جاء إلى الصخرة فورا، وأخذ المعول وضرب به الصخرة باسم الله، فانقدح الشرر بضرب الحديد على الصخرة، فكبّر النبي ﷺ بصوت عال وقال: لقد أُعطيتُ مفاتيح مملكة الشام، ووالله إن قصور الشام الحمراء ماثلة أمام عينيّ. انكسرت الصخرة قليلا بتلك الضربة. ثم ضرب ﷺ مرة ثانية باسم الله الصخرة بالمعول، وتصاعد الشرر منها هذه المرة أيضا وكبّر رسول الله للمرة الثانية وقال: لقد أُعطيتُ هذه المرة مفاتيح فارس، وأرى قصور المدائن البيضاء.

* العنوان الرئيسي والعناوين الفرعية من إضافة أسرة «التقوى»

وهذه المرة انكسرت الصخرة أكثر قليلا. ثم ضرب رسول الله ﷺ الصخرة للمرة الثالثة بالمعول وتطاير الشرر للمرة الثالثة فكبّر ﷺ هذه المرة أيضا وقال: لقد أُعطيتُ مفاتيح اليمن، ووالله أُريتُ أبواب صنعاء. عند الضربة الثالثة انكسرت الصخرة كليا وتحطمت.

وفي رواية أن النبي ﷺ كان يكبّر بصوت عال كل مرة، ثم ذكر الكشوف المذكورة كلها عند سؤال الصحابة. وانصرف المسلمون إلى عملهم بعد إزالة هذا العائق، أي بعد كسر الصخرة استأنفوا حفر الخندق.

المشاهد التي بيّنها رسول الله ﷺ كانت من قبيل الكشوف، وبواسطتها خلق الله تعالى في قلوب المسلمين أملا ونضارة في وقت العسرة هذا بإراءة مشاهد الفتوحات والسعة المستقبلية. إن ذلك الزمن كان زمن الضيق والمعاناة في الظاهر بحيث استهزأ المنافقون في المدينة بالمسلمين بسماع هذه الوعود وقالوا ما معناه: إنهم لا يجدون موطئ قدم في الخارج ويحلمون بمملكة قيصر وكسرى. ولكن الله تعالى كان قد قدّر كل هذه النعم للمسلمين. فقد تحققت تلك الوعود في مواعيدها أي تحققت بعضها في الفترة الأخيرة من حياة النبي ﷺ ومعظمها تحققت في عصر خلفائه وكانت سببا لتقوية إيمان المسلمين وسكينة قلوبهم.

لقد تحقق وعد فتح المدائن على يد سعد ﷺ في عهد خلافة سيدنا عمر ﷺ كما أُريَ رسول الله ﷺ تماما. بعد فتح المدائن فتح جيش المسلمين بابل، وهي مدينة عراقية قديمة. بعد فتح بابل وصل الجيش الإسلامي إلى منطقة قديمة أخرى اسمها كوثى وتقع قرب مدينة بابل. في هذا الموضع سجَنَ النمرودُ إبراهيمَ عليه السلام، وكان مكان السجن محفوظا إلى ذلك الحين. وبعد الوصول إلى هناك شاهد سعدٌ السجن، وتلا قول الله تعالى: ﴿... وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ...﴾[1]. بعد كوثى قدم الجيش إلى مكان اسمه بهرسير، وهو اسم جزء من المدينة العراقية المدائن، وتقع على الشاطئ الغربي لنهر دجلة. وكان هناك أسد لكسرى قد ربَّاه للصيد. عندما اقترب جيش سعد ﷺ بالمكان أطلق العدو هذا الوحش على الجيش فهاجم الأسدُ الجيشَ مزمجرا. كان هاشمُ بن أبي وقاص أخو سعد قائدَ طليعة الجيش، فتقدم نحو الأسد وضربه ضربة قاضية وقتله. ثم وقعت معركة المدائن أيضا بعد ذلك. المدائن تقع في العراق على مسافة قليلة إلى الجنوب على شاطئ نهر دجلة. ولما عُمرت هناك عدة مدن واحدة بعد الأخرى أطلق عليها العرب اسم «المدائن» أي مجموعة المدن.

كانت المدائن عاصمة كسرى وكانت فيها قصوره البيضاء. كان نهر دجلة حائلا دون اقتحام المسلمين المدائن، فدمَّر الفُرس جميع الجسور على النهر.

وقد جاء في تاريخ الطبري ما مفاده أن سعدا بحث عن السفن لعبور النهر، ولكن تبين له أن العدو مستول عليها.

كان سعد يريد أن يعبر المسلمون النهر، فأخبره بعض أهل القرى بمكان حيث يمكنه اجتياز النهر بسهولة. ولكن سعدا لم يعمل بمشورتهم. وفي هذه الأثناء أصبح ماء النهر هائجا ومائجا. ثم أُري سعدٌ في المنام ذات ليلة أن المسلمين قد خاضوا النهر بأحصنتهم وعبروه مع أن النهر كان مائجا. فعقد سعدٌ العزم على اجتيازه سباحة تحقيقا للرؤيا، فقال للجيش ما مفاده: أيها المسلمون لقد اتخذ العدو النهرَ ملاذا له فتعالوا نعبره سابحين. قال ذلك وخاض النهر بحصانه ففعل الجنود أيضا ذلك اتباعًا لقائدهم، ونزل جيش المسلمين في الجانب الآخر من النهر. فلما رأى جيش الخصم هذا المشهد صاحوا مذعورين «ديوان آمد، ديوان آمد»، وفرّوا. فاستولى المسلمون على المدينة وقصور كسرى. وكان كسرى قد نقل عائلته من هناك قبل وصول المسلمين. فتمكّن المسلمون من فتح المدينة بسهولة. وبذلك تحققت نبوءة رسول الله ﷺ التي أنبأ بها يوم الأحزاب عند حفر الخندق عند ضربه الصخرة بالمعول، وقال: قد أُريتُ قصور المدائن البيضاء. بالنظر إلى هذه القصور خاوية على عروشها تلا سعد ﷺ آيات من سورة الدخان: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ.﴾[٢]

**أمانة المسلمين وتعففهم**

ثم أمر سعدٌ أن يُجمع الكنز الملكي والمجوهرات النادرة في مكان واحد. كان الكنز يتضمن تذكارات الملوك التي يبلغ عددها الآلاف بما فيها الدروع والسيوف والخناجر والتيجان والألبسة الملكية، وحصان ذهبي عليه سرج فضي، ومرصع صدره باليواقيت والزمرد. كذلك كانت ضمن الأشياء ناقة فضية عليها سرج ذهبي. وكان زمامها مرصّعا باليواقيت الثمينة جدا. كان في الغنائم فرش يسمى عند الفرس «بهار»، كانت أرضيته من الذهب، وعليه شجرة فواكه من الفضة والجواهر الثمينة. جمع الجيش هذا الأثاث كله ولكن كان الجنود المسلمون صادقين وأمناء جدا، فجاؤوا بكل ما وجدوه إلى قائدهم ووضعوه أمامه. عندما رُصَّت كل هذه الأشياء لمعت الأرض إلى بُعد شاسع. استغرب سعدٌ لهذا المشهد وقال: الذين لم يأخذوا من هذه الأشياء الثمينة شيئا فإنهم أمناء إلى أقصى الحدود دون أدنى شك. قُسمت الغنائم بحسب القانون وأُرسل خُمسها إلى الخليفة. لقد أُرسل الفرش والأشياء القديمة بأسلوب ليرى العرب مشهد جاه الفُرس وهيبتهم وفتوح الإسلام وازدهارهم. عندما وُضعت هذه الأشياء أمام عمر ﷺ استغرب أيضا من أمانة الجند واستغنائهم، وقال مستغربا ما مفاده: كم هم أمناء هؤلاء الجنود! كان في المدينة شخص اسمه «محلّم» وكان جميل الصورة طويل القامة، فأمر سيدنا عمر ﷺ أن يُلبس هو لباس كسرى. كانت حالة الألبسة من نوعية وحالة مختلفة، فأُلبس محلّم تلك الثياب واحدا بعد الآخر، وأُعجب الناس بجمالها كثيرا. كذلك وُزّع الفرش «بهار» أيضا. ثم وقعت معركة جلولاء في ١٦ من الهجرة. فبعد فتح المدائن اجتمع الفُرس في جلولاء وبدأوا بالاستعداد للمواجهة. فأرسل سعدٌ ﷺ بأمر من عمر ﷺ هاشم بن عتبة مع جيش قوامه ١٢٠٠٠ جندي لمواجهة جيش الفُرس. وجلولاء مدينة عراقية تقع في الطريق بين بغداد وخراسان، فاندلعت هناك معركة بين المسلمين والفُرس. عندما وصل المسلمون جلولاء كان الفرس قد تحصنوا بها، فحاصرها المسلمون وامتد حصارها إلى عدة أشهر، وكان الفُرس يخرجون بين حين وآخر من القلعة ليهاجموا المسلمين. وهكذا وقعت ثمانون معركة حتى تحقق الفتح. وكتبوا إلى عمر بالفتح وبنزول القعقاع إلى حلوان واستأذنوه في اتباعهم، فأبى وقال: لوددت أن بين السواد وبين الجبل سدا لا يخلصون إلينا ولا نخلص إليهم، حسبنا من الريف السواد، إني آثرت سلامة المسلمين على الأنفال.

في رواية أن سعدا ﷺ أرسل مع قضامي آنية ذهبية وفضية وأقمشة، وأرسل الأسرى مع أبي مفزر الأسود، وفي رواية أخرى أنه بعث الأخماس مع قضامي وأبي مفزّر، والحساب مع زياد ابن أبي سفيان، و كان الذي يكتب للناس ويدوّن لهم، فلما قدموا على عمر كلّم زياد عمر فيما جاء به، ووصف له، فقال

عمر: هل تستطيع أن تقوم في الناس بمثل الذي كلمتني به؟ فقال: والله ما على الأرض شخص أهيب في صدري منك، فكيف لا أقوى على هذا من غيرك! فقام بالناس بما أصابوا وبما صنعوا، وبما يستأذنون فيه من الانسياح في البلاد. فقال عمر: هذا الخطيب المصقع. وقال زياد إن انتصارات جنودنا قد أطلقت ألسنتنا.

وفي رواية: لما عُرض على عمر ﷺ خمس الغنائم، قال: والله لا يُجنُّه سقفُ بيتٍ حتى أقسمه. فباتَ عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن الأرقم يحرسانه في المسجد. (أي جاءت أموال الغنائم ووضعت في فناء المسجد وقام هذان الصحابيان بحراستها) فلما أصبح عمر جاء مع الناس إلى المسجد فكشف عن المال، ولما نظر إلى ياقوته وزبرجده ولؤلؤه وجوهره بكى، فقال له عبد الرحمن: ما يبكيك يا أمير المؤمنين، والله إن هذا لموطنُ شكرٍ. فقال عمر: والله ما ذاك يبكيني، وتالله ما أعطى الله هذا قومًا إلا تحاسدوا وتباغضوا، ولا تحاسدوا إلا ألقى بأسهم فيما بينهم[٣]. (أي أن هذه الثروة التي تأتيكم أخاف أن تخلق بينكم الحسد والبغضاء بدلاً من التآخي والمحبة، وهذه الفكرة هي التي تبكيني، لأنه إذا وقع التحاسد بين قوم بدأت الحرب الأهلية بينهم. إن هذا القول يتطلب من التأمل والانتباه والاستغفار كثيرا، لأن ما حذر منه سيدنا عمر ﷺ هو ما نراه على أرض الواقع، فمنذ أن ازداد المسلمون مالا وثراء، بدأ التحاسد والتباغض يدب فيما بينهم أيضا، وهذا المرض يوجد عند المسلمين سواء في الدول التي تمتلك ثروة النفط، أو الأفراد الذين يمتلكون الأموال، حيث يفتقرون إلى التقوى والسداد).

في أثناء معركة المدائن ترك يزدجردُ ملكُ الفرس عاصمته المدائن وسار بأهله وحاشيته إلى حلوان. ولما بلغتْه هزيمةُ أهلِ جلولاء خرج من حلوان سائرًا نحو الري، وخلف بحلوان خيلاً عليها خسْرَوْ شُنُوم أحدُ قادته العظام. وظل سعد ﷺ مقيما في جلولاء، وأرسل القعقاع إلى حلوان. فأقبل القعقاع حتى إذا كان بقصر شيرين على رأس فرسخ (ثلاثة أميال) من حلوان خرج إليه خُسْرَوْ شُنُوم، لكنه هرب منهزما. ووصل القعقاع إلى حلوان وأقام هناك ونادى في الناس بالأمان. فبدأ زعماء الفرس يأتونه ويقبلون الجزية ويعلنون تأييدهم للإسلام.

أما كيف كان فتح ماسبذان، فقد ورد أن هاشم بن عتبة، قائدَ الجيش المسلم في معركة جلولاء، رجع إلى المدائن حيث كان سعد ﷺ وبلّغه أن آذين بن الهرمزان قد جمع جمعًا من الفرس وخرج بهم إلى السهل للقاء المسلمين. فكتب سعد بذلك إلى عمر (رضي الله عنهما)، فكتب إليه عمر: ابعثْ إليهم ضرار بن الخطاب في جيش، واجعل على مقدّمته ابن الهذيل، وعلى مجنّبتيه عبد الله بن وهب الراسبيّ والمضارب بن فلان العجليّ. فخرج العسكر الإسلامي للقاء العسكر الفارسي حتى انتهى إلى سهلِ ماسبذان، وتقاتلا بمكان يدعى بهندف. فانهزم الفرس وتقدم المسلمون واستولوا على مدينة ماسبذان. فلجأ أهلها في الجبال، فدعاهم ضرار بن الخطاب ليرجعوا ويقيموا بالمدينة بأمان وسلام. فاستجابوا له وأقاموا في بيوتهم.

وقد ذكر البلاذري روايات مختلفة عن فتح ماسبذان، منها أن أبا موسى الأشعري فتحها بدون قتال بعد عودته من معركة نهاوند.

**فتح الأحواز، وقصة الهرمزان**

أما ذكر فتح خوزستان، وهي إحدى ولايات إيران، فكان الهرمزان واليا عليها قبل إسلامه. وتسمى هذه المنطقة وأهلها «الخوز» ، وتقع بالقرب من الأهواز بين سلسلة جبال تقع ما بين خليج الفارس والبصرة وأصفهان.

في السنة الرابعة عشرة الهجرية فتح سيدنا عمر ﷺ في العراق جبهة صغيرة أخرى للقتال تحقيقا لأهداف حربية، فبعث جيشا صغيرا إلى هذه المنطقة تحت إمرة عتبة بن غزوان، فبنى هناك معسكرا لهذا الجيش فصار فيما بعد معسكر مدينة البصرة. ولم يكن هذا الجيش يقوم بفتح المناطق المجاورة فقط، بل كان يخدم خدمة قتالية أخرى حيث صار سدًّا منيعا بين المدد الذي كان قادة الفرس في تلك المنطقة يريدون إرساله لأصحابهم بعد سماع أخبار هزائمهم المتكررة على شتى الجبهات القتالية. يبدو أن هذا كان هو الهدف الأكبر من إسكان الجيش الإسلامي على هذه الجبهة، أي الاستيلاء على هذا الطريق لكي لا يتمكن الفرس من إرسال المدد إلى قواتهم، ومن ثم يفقدوا القدرة على مهاجمة المسلمين.

ورجع أمير هذا الجيش إلى الحجاز للحج ولقاء عمر ﷺ، وفي غيابه جعل عمرُ المغيرة بن شعبة أميرا على الجيش. وبعد أن اتُّهم المغيرة بن شعبة بتهمة أخلاقية عزله عمر ودعاه إلى المدينة لتحري أمر التهمة التي رُمي بها، وجعل أبا موسى الأشعري أميرا على الجيش. وبعد التحقيق تبين بطلان التهمة التي ألصقت بالمغيرة ﷺ.

واختلفت الروايات فيما إذا كانت هذه المعركة قد وقعت في السنة السادسة عشرة أو السابعة عشرة من الهجرة. وظل الجيش المسلم نشطا في منطقة خوزستان واتسع مجال القتال فيها أيضا، حتى استولى المسلمون على مدينتها الشهيرة الأحواز.

لقد ذكر الطبري فتح الأحواز في أحداث السنة السابعة عشرة الهجرية، ولكنه قال أيضا أنه يبدو من بعض الروايات أنه كان في السنة السادسة عشرة الهجرية، وكتب الطبري أن هذا الفتح تم على يد أمير الجيش عتبة بن غزوان، لكن البلاذري كتب أن فتح الأحواز وما يليه من الفتوحات تمت بعد عودة عتبة بن غزوان وتحت قيادة المغيرة بن شعبة وأبي موسى الأشعري (رضي الله عنهما). وورد أن المغيرة بن شعبة هو الذي فتح الأحواز حيث حاربه بهروز زعيمُ الأحواز أولَ الأمر ثم تصالح مع المسلمين. ثم بعد فترة نكث بهروز العهد وتمرد عندما صار أبو موسى الأشعري أمير الجيش المسلم بعد المغيرة ﷺ، فخرج أبو موسى الأشعري لمحاربته، وفتح المدينة بعد القتال. وكان ذلك في العام السابع عشر من الهجرة.

وأسر الجيش المسلم كثيرا من العدو في معركة الأحواز وجعلوهم عبيدا، ولكن سيدنا عمر ﷺ أمر بإطلاق سراحهم جميعا. فأُطلقوا كلهم ولم يبق منهم عبد.

وورد في تاريخ الطبري: كان الفرس يغيرون على جنود المسلمين مرة بعد أخرى عبر طريقين، وكان لهم مركزان للإغارة في نهر تيري ومناذر، فاستولى المسلمون على المكانين.

نجد في معظم الوقائع أن الفرس كانوا يضايقون المسلمين ويغيرون عليهم مرارا، فرد عليهم المسلمون الهجوم وأخذوا منهم هذه المناطق. وورد في البلاذري أن أبا موسى الأشعري ﷺ فتح نهر تيري مع فتح الأهواز، ثم بعد ذلك تقدم نحو ما يسمى مناذر، فحاصر المدينة واشتد القتال. وخلال المحاصرة خرج ذات يوم مهاجرُ بن زياد أحدُ مقاتلي المسلمين الشجعان لقتال العدو صائما لكي ينذر نفسه في سبيل الله صائما، فأخبر أخوه ربيعُ أميرَ الجيش أبا موسى الأشعري بذلك، فأعلن أبو موسى بين القوم أن من صام فليفطر أو لا يخرج إلى ساحة القتال. فلما سمع مهاجر هذا الإعلان أفطر بجرعة ماء وقال: أفطر طاعة للأمير وما بي عطش. ثم حمل سلاحه وقاتل العدو حتى استشهد. فحز أهل المدينة رأسه وعلقوه فوق القصر. وطال الحصار فترك أبو موسى الأشعري –وغالبا بأمر سيدنا عمر ﷺ– جزءًا من الجيش هناك تحت إمرة ربيع أخي مهاجر الشهيد لمواصلة الحصار، وسار بباقي الجيش إلى شوشان. واستمر ربيع في قتال العدو حتى فتح المدينة وأسر كثيرين من أهلها، ولكن أُطلقَ سراحهم جميعا بأمر من سيدنا عمر ﷺ. ووصل أبو موسى الأشعري ﷺ إلى شوشان، فتصدى له أهل المدينة في أول الأمر، ثم احتموا بأسوار المدينة، وبعد حصار طال لمدة استسلموا من قلة الطعام.

ولقد قدم السيد مير محمود أحمد في مقالٍ بحثه وتعليقه على تفاصيل هذه الواقعات والفتوحات حيث قال: لقد اختلف

الطبري والبلاذري اختلافات عديدة حول هذه الواقعات، وسببها –على الأغلب– أن زعماء الفرس كانوا ينكثون بعهودهم بعد الفتوحات الأولى للمسلمين، مما كان يدفعهم للتحرك إلى الفرس المتمردين وقمع ثورتهم ثانية، فاختلطت واقعات الفتوحات الأولى مع أحداث قمع التمرد وتوطيد الأمن والسلام. على كل حال، هذه وجهة نظر الأستاذ سيد محمود.

ذكر معركة رامهرمز وتستر: بعد معركة جلولاء كان يزدجرد ملكُ الفرس قد انتقل إلى اصطخر مرورا بالري، ولم يقبل الهزيمة، فكان يحرض الفرس على قتال المسلمين، ويسعى جاهدا لإرسال المدد لرجاله في منطقة خوزستان التي نتحدث عن فتوحات المسلمين فيها. وكان السبب الآخر لتأجج نار الحرب في تلك المنطقة هو قتال الهرمزان أحدِ كبار زعماء الفرس فيها. كان الهرمزان قد شارك في معركة القادسية، وهرب منها إلى وطنه بعد الهزيمة، وكان يشن الغارات على المسلمين بدون انقطاع. وبعد انتصار المسلمين في معركة جلولاء تجمع الفرس في رامهرمز تحت قيادة الهرمزان. (رامهرمز مدينة شهيرة في منطقة خوزستان). فأرسل سعد بن أبي وقاص بأمر من سيدنا عمر (رضي الله عنهما) جيشًا تحت إمرة النعمان بن مقرن من منطقة الكوفة، وأرسل أبا موسى الأشعري ﷺ من منطقة البصرة وقال لهما: إذا اجتمع هذان الجيشان فسيقودهما أَبُو سَبْرَةَ بْنُ أَبِي رُهْم. ولما بلغ الهرمزان خبر جيش النعمان بن مقرن خرج للتصدي له، وبعد قتال مرير انهزم الهرمزان ولاذ بالفرار ناحية تستر. (وتستر أيضا مدينة كبيرة على مسافة يوم من خوزستان) واحتمى الهرمزان بأسوار المدينة، فحاصرها الجيش المسلم تحت قيادة أبو سبرة ﷺ حصارا استمر شهورا عديدة. كان الفرس يخرجون من المدينة ويغيرون على المسلمين مرة بعد أخرى، ثم يرجعون إلى المدينة ويغلقون أبوابها، ووقعت بين الطرفين ٨٠ معركة، وفي المعركة الأخيرة شن المسلمون هجوما شديدا. لما اشتد حصار المسلمين للمدينة أخبرهم اثنان من الفرس أنه يمكن فتحها باقتحامها عبر طريق الماء، فدخلها المسلمون عبر طريق الماء.

وعن ذلك كتب أبو حنيفة الدينوري مؤلف كتاب «الأخبار الطوال»، أن حصار المسلمين طال ذات ليلة فأتى أبا موسى رجل من أشراف أهل المدينة فقال تؤمنني على نفسي وأهلي وولدي ومالي وضياعي حتى أعمل في أخذك المدينة، فأمنه أبو موسى الأشعري. وفي فتوح البلدان أنه قد أسلم.

قال الرجل ابعثْ معي رجلا من أصحابك لأُخبره أي أطلعه على الطريق إلى دخول القلعة. فبعث معه أبو موسى رجلا من بني شيبان اسمه الأشرس بن عوف، فمضى حتى خاض به دُجيلا، ثم أخرجه من سَرَبٍ حتى انتهى به إلى داره، ثم أخرجه من داره، وألقى عليه رداء، وقال: امش ورائي كأنك من خدمي. فجعل يمر به في أقطار المدينة طولا وعرضا، حتى انتهى به إلى الأحراس الذين يحرسون أبواب المدينة، ثم انطلق حتى مر به على الهرمزان، وهو على باب قصره، ومعه ناس من مرازبته. وبعد أن أراه كل شيء انصرف عائدا وأخرجه من ذلك السرب، فأخبر الأشرس أبا موسى بجميع ما رأى، وقال: وجِّه معي مائتي باسل حتى أقصد بهم الحرس، فأقتلهم، وأفتح لك الباب، ووافِنا أنت بجميع الناس.

فدخل الأشرس بن عوف مع أصحابه المدينة من الطريق السرّي، فقتلوا الحراس وفتحوا الأبواب، فدخل الجيش المسلم المدينة وهم يكبرون الله، وبعد أن سمع الهرمزان التكبيرات هرب إلى الحصن الذي في جوف المدينة، وحاصر المسلمون المدينة.

قال الهرمزان من فوق: عندي ثلاثمائة سهم، فما دام عندي واحد منها لا أحد يستطيع أن يمسني، وبعد ذلك إذا اعتُقلت فواها لاعتقالي. فسأله المسلمون ماذا يريد، فقال إنني أستسلم بشرط أن يحكم فيَّ عمر، ثم رمى سلاحه وسلَّم نفسه للمسلمين، فأرسله أبو موسى مع حضرة أنس بن مالك والأحنف بن قيس إلى سيدنا عمر ﷺ في المدينة. فلما دخل الركب المدينةَ زينوا الهرمزان بقبائه من الحرير وكان قد تم تطريزه بخيوط الذهب، (كان أسيرا ومع ذلك ألبسوه لباسه ذا الشأن العظيم) ثم وضعوا على رأسه تاجا مركبا من الأحجار الكريمة، لكي يراه سيدنا عمر ﷺ في هيئته الأصلية ويخبروه أنهم هزموا هذا السيد العظيم

جدا. ثم سألوا عن سيدنا عمر ﷺ فقيل: هو في المسجد فلما وصلوا إلى هناك وجدوه في المسجد ينام متوسدًا بُرْنُسَهُ فقال الهرمزان: أين عمر؟ قالوا: هو ذاك النائم. ولم يكن في المسجد آنذاك سواه، فقال الهرمزان: أين حرسه وحجابه؟ قالوا: ليس له حارس ولا حاجب ولا كاتب. قال: ينبغي أن يكون نبيًّا. قالوا: بل يعمل بعمل النبيين. فاستيقظ عمر على جلبة الناس فقال: الهرمزان؟ قالوا: نعم. فنظر سيدنا عمر إليه ولباسه بإمعان وقال أعوذ بالله من النار، وأستعين به ﷻ. فقال له أصحاب الركب هذا الهرمزان فحدِّثه، فقال كلا، حتى ينزع لباسه البراق وحليه، فنزعوا عنه جميع المجوهرات والقباء الملكي. وبدأ الحديث مع الهرمزان، فقال له عمر: يا هرمزان، كيف رأيت عاقبة الغدر وعاقبة الخداع؟ (فالمعركة التي اندلعت كان سببها نقض العهد والخداع) فقال: يا عمر، إنا وإياكم في الجاهلية كان الله قد خلى بيننا وبينكم فغلبناكم، فلما كان الآن معكم غلبتمونا.

(هذا كان رده على قول عمر ﷺ) فقال له عمر: إنما غلبتمونا في الجاهلية باجتماعكم وتفرُّقنا. (أي كان من كبار أسباب ذلك أنكم اجتمعتم ونحن افترقنا) ثم قال له: ما حجتك وما عذرك في انتفاضك مرة بعد أخرى؟ (فكان المسلمون كما قلت سابقا قد حاربوهم بنقض عهودهم لأنهم لم يكونوا يريدون أن يعيشوا كجيران مسالمين) فقال: أخاف أن تقتلني قبل أن أخبرك. قال: لا تخف ذلك، واستسقى ماء فأتي به في قدح غليظ، فقال: لو متُّ عطشًا فلن أستطع أن أشرب في مثل هذا! فأتي به في إناء يرضاه، بدأت يداه ترتجفان فقال: إني أخاف أن أُقتل وأنا أشرب. فقال عمر: لا بأس عليك حتى تشربه. فلما سمع ذلك أكفأ الماء، (كان ذكيًّا لذا قال: إذا كان حياتي مضمونة قبل أن أشرب فلن أشرب، لأن المسلمين صادقو الوعد، فألقى الماء) فقال عمر: أعيدوا عليه ولا تجمعوا عليه بين القتل والعطش. (لأنه لنقضه العهود والفتنة ومحاربة المسلمين كان يستحق ذلك) فقال: لا حاجة لي في الماء، إنما أردت أن أستأمن به. (فقد أعرب عما كان يريد في الحقيقة). بعد ذلك أسلم الهرمزان واستقر في المدينة، وحدد له سيدنا عمر ﷺ المعاش ألفين.

لقد ورد في العقد الفريد أنه حين جيء بالهرمزان أسيرا إلى سيدنا عمر ﷺ دعاه إلى الإسلام فرفض، فأمر عمر ﷺ بقتله، فقال يا أمير المؤمنين يمكن أن تقدم لي الماء، فأمر حضرته ﷺ بسقيه الماء، فلما وُضع إناء الماء في يده سأله عمر ﷺ هل أنا في أمن حتى أشرب، فقال له عمر ﷺ نعم، فألقى الإناء وطلب منه الوفاء بوعده، فقال له عمر ﷺ أعطيك مهلة، لأرى كيف تعمل. ثم حين أبعد عنه السيف قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله. عندها سأله عمرُ ﷺ لم لم تؤمن من قبل؟ فقال يا أمير المؤمنين خشيت أن يقال إني آمنت خوفا من السيف، لأن السيف كان على رأسي. بعد ذلك كان سيدنا عمر ﷺ يستشيره في الهجوم على إيران، وكان يعمل بحسب رأيه، فصار مستشارا لسيدنا عمر ﷺ.

### عدل المسلمين في القصاص للهرمزان

تثار شبهة أن الهرمزان كان له دخل في استشهاد عمر ﷺ، لكن المصلح الموعود ﷺ لم يقبل هذه الشبهة، وبيَّن حجته في تفسيره لآية القصاص، فقد أُتي برجل من المسلمين قد قتل معاهدا من أهل الذمّة فأمر به فضُرب عنقه، وقال ﷺ: أنا أولى من وفّى بذمته[٤]. كذلك هناك رواية أوردها الطبراني عن علي ﷺ أن مسلما قتَل ذميًّا فأمر سيدنا علي بقتله.

يقول البعض: ورد في حديث أنه لا يُقتل مسلم بكافر .. ولكن لو قرأنا الحديث بتمامه لزال التعارض. يقول الحديث «لا يُقتل مؤمن بكافر ولا ذو عهد في عهده»[٥]. فالفقرة الثانية توضح المعنى. لو كان المعنى كما يظنون لكانت الفقرة الثانية (ولا ذو عهد بكافر)، ولا يقبل أحد بهذا. فالمراد من الكافر هنا الكافر المحارب. ولذلك قال إن الذمي الكافر أيضا لا يقتل بكافر محارب.

وعندما ننظر إلى عمل الصحابة نجد أن الصحابة أيضا كانوا يقتلون القاتل المسلم بقتيل غير مسلم. فقد جاءت رواية

**فلما وُضع إناء الماء في يده سأله عمر ﷺ هل أنا في أمن حتى أشرب، فقال له عمر ﷺ نعم، فألقى الإناء وطلب منه الوفاء بوعده، فقال له عمر ﷺ أعطيك مهلة، لأرى كيف تعمل. ثم حين أبعد عنه السيف قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله. عندها سأله عمرُ ﷺ لم لم تؤمن من قبل؟ فقال يا أمير المؤمنين خشيت أن يقال إني آمنت خوفا من السيف، لأن السيف كان على رأسي. بعد ذلك كان سيدنا عمر ﷺ يستشيره في الهجوم على إيران، وكان يعمل بحسب رأيه، فصار مستشارا لسيدنا عمر ﷺ.**

القماذبان بن الهرمزان يذكر حادث قتل أبيه الهرمزان، الذي كان من كبار الفرس والمجوس، وكان موضع مظنةَ الاشتراك في قتل سيدنا عمر ﷺ. فثار عبيد الله بن عمر على الرجل بناء على هذه الشُبهة فقتله. يقول القماذبان: كانت العجم في المدينة يَسْتَرْوِح بعضهم إلى بعض (يتزاورون)، كما هو معروف أن الوطنية تتجلى في بلد آخر، فمر فيروز قاتلُ عمر ﷺ بأبي ومعه خنجر له رأسان، فتناوله منه وقال: ماذا تصنع بهذا في هذه البلاد ذات الأمن والسلام؟ فما الحاجة إلى هذا السلاح، قال: أبُسُّ به ..(أي أستخدمه لحث الإبل)، فحين كانا يتكلمان رآهما رجل. فلما استشهد عمر، قال رأيت الهرمزان نفسه يسلِّم الخنجر لفيروز. فأقبل عبيد الله فقتله. فلما وُلِّي عثمان دعاني فأمكنني منه. ثم قال: يا بني، هذا قاتل أبيك وأنت أولى به منا، فاذهب فاقتله. فخرجت به وما في الأرض أحد إلا معي ولم يتصد لي، إلا أنهم يطلبون إلي فيه أن أتركه. فقلت لهم: ألي قتلُه؟ قالوا: نعم، وسبُّوا عبيد الله على فعله المنكر. فقلت: أفلكم أن تمنعوه؟ قالوا: لا، وسبّوه على أنه قتل أبي بلا إثبات. فتركته لله ولهم. حين تمت الشهادات وأُقيمت الحجة تركتُه لله ولهؤلاء الناس، فاحتملوني فرحا. فوالله، ما بلغتُ المنزل إلا على رؤوس الرجال وأكفِّهم. ولم يدَعوني أضَع قدمي على الأرض[٦].

هذه الحادثة تؤكد أن الصحابة كانوا يقتلون القاتل المسلم بغير المسلم، كما تؤكد أنهم كانوا لا يفرقون بين سلاح وآخر، وأن الحكومة هي التي تقبض على القاتل وتحاكمه وتعاقبه. (هنا كان القاتل قد أسلم فيما بعد ولكنه حتى لو كان القاتل غير مسلم لعُومِل كما يُعامَل قاتل مسلم كما يتبين مما سبق وخاصة إذا كان ذا عهد. ويثبت من هذه الرواية أن الحكومة هي التي تقبض على القاتل وتعاقبه وليس كل شخص) فقد رأينا في الرواية أن الخليفة سيدنا عثمان ﷺ هو الذي أمر بالقبض على عبيد الله وسلمه إلى ابن الهرمزان، وليس أن ورثة الهرمزان هم الذين أخذوه وحاكموه.

قال المصلح الموعود ﷺ: هنا سؤال ينبغي الجواب عليه: هل يسلَّم القاتل إلى ورثة القتيل لينزلوا به العقاب كما فعل سيدنا عثمان ﷺ. أم أن الحكومة هي التي تتولى عقابه؟ فاعلموا أن هذه المسألة نسبية وهامشية، وتركَها الإسلام مفتوحة ليعمل الناس بحسب مقتضى عصرهم، ويختاروا أي الطريقين بحسب حضارتهم وأحوالهم. ولا شك أن كل طريقة تفيد في أحوال خاصة.[٧] هذا الذكر سوف يستمر.

**الهوامش:**

[1] – (آل عمران: ١٤١)

[٢] – (الدخان: ٢٦–٢٨)

[٣] – ابن كثير، البداية والنهاية، الجزء السابع، وقعة جلولاء

[٤] — الطحاوي، شرح معاني الآثار، الجنايات

[٥] – ابن ماجة، كتاب الديات

[٦] – الطبري، تاريخ الأمم والملوك، أحداث السنة ٢٤

[٧] –مرزا بشير الدين محمود أحمد، التفسير الكبير، ج2

# دِينُ السَّلامِ أَمْ دِينُ الحَرْبِ؟!

مصر
سامح مصطفى

**شهادة المعاصرين للحدث**

نظرا إلى ما تمتع به سيدنا محمد ﷺ من رصيد الصدق العظيم حتى قبل بعثه رسولا، لم يكن بمقدور كبار خصومه تكذيبه شخصيا، وتروي كتب السير والأحاديث العديد من الروايات بهذا الصدد، كتلك الرواية الواردة في سنن الترمذي: «أَنَّ أَبَا جَهْلٍ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّا لَا نُكَذِّبُكَ وَلَكِنْ نُكَذِّبُ بِمَا جِئْتَ بِهِ»[1]، ويماثل موقف أبي جهل موقف النضر بن الحارث وهو أيضا معروف بعدائه للإسلام، وتصادف أن سمع في ناديه قائلا يقول إن محمدا كاذب (والعياذ بالله) فردّ عليه قائلاً: «...قد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً أرضاكم فيكم، وأصدقكم حديثاً، وأعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب، وجاءكم بما جاءكم به، قلتم ساحر، لا والله ما هو بساحر...»[2]. وبالتالي لم يجد الذين عاشوا في زمنه ولا حتى أعداء الإسلام آنذاك عيباً واحداً في شخصيته، لكن الغريب هو أن الذين يدرسون شخصيته من قرون بعد مجيئه ﷺ يحاولون تشويه سمعته.

المعاصرون للحدث هم أولى بالأخذ بشهادتهم، هذه قاعدة يُعمل بها حاليا في المحافل العلمية الرصينة وأروقة القضاء، بل وحتى الأجهزة الأمنية والاستخباراتية، غير أن الآية تُقلَب عنوة رأسا على عقب، إذا ما تعلق الأمر بسيرة سيدنا محمد ﷺ بوجه خاص، وذلك لسبب يتضح بيانه من خلال هذا المقال.

**أول سلاح شهره المسلمون!**

لقد تلقى النبي الوحي القرآني الأول ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾[3]، ثم الأمر بتبليغ ذوي قرباه ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[4] خلال الأعوام الثلاثة الأولى من بعثته ﷺ، وخلال هذه المدة الوجيزة كانت جماعة المؤمنين الأولى تنمو نموا بطيئا، لكنه مستمر في الوقت ذاته، وخلال هذه المدة آمن عدد من كبار رجالات

**ومع انتهاء حكم المسلمين للأندلس بدأت حملة تشويه الإسلام ورمزيه الرئيسين الممثلين في القرآن الكريم وسيرة النبي العظيم، وتلك ممارسات ممنهجة ومنظمة بشكل يفوق التصور، كان من مظاهرها، ولم يزل، تمويل الحركات الاستشراقية العالمية التي لا شغل لها ولا هدف سوى تشويه هذين المقدسين بكل ما استطاعت من قوة ووسائل...**

قريش، ولم يكن السلاح الذي شُهر عليهم ليؤمنوا، لم يكن سوى الحجة البالغة والكلمة المؤثرة.

**أين هم من المسلمين قبل الإذن بالقتال؟!**

المساحة التي يخصصها المستشرقون المغرضون من أجل تشويه سمعة الإسلام ونبيه، هي مساحة شاسعة من المطبوعات التي تصدرها المؤسسات الكنسية والمنظمات الأهلية التابعة لها منذ أواخر القرن الخامس عشر الميلادي، والذي شهد سقوط الأندلس، الأمر الذي وضع نقطة النهاية لحكم المسلمين فيها ووجودهم المؤثر على الساحة الأوروبية، ومع انتهاء حكم المسلمين للأندلس بدأت حملة تشويه الإسلام ورمزيه الرئيسين الممثلين في القرآن الكريم وسيرة النبي العظيم ﷺ، وتلك ممارسات ممنهجة ومنظمة بشكل يفوق التصور، كان من مظاهرها، ولم يزل، تمويل الحركات الاستشراقية العالمية التي لا شغل لها ولا هدف سوى تشويه هذين المقدسين بكل ما استطاعت من قوة ووسائل، غير مشروعة في أغلبها بطبيعة الحال. إذ لو توخى هؤلاء المغرضون المشروعية في هجومهم على شخصية النبي ﷺ لاضطروا إلى النظر في سيرته ككل متكامل، لا أن يركزوا أنظارهم السقيمة على جانب واحد من حياته، والغريب أن هذا الجانب هو الجانب الأقصر من حيث المدة الزمنية، إذ يبلغ عدد السنين التي رفع فيها النبي ﷺ السيف دفاعا عن مجتمع صار مسؤولا عن رعايته، عشر سنوات مقابل ثلاث عشرة سنة كان مأمورا فيها بالصبر على الأذى. المستشرق المغرض يُسقط من حساباته التطفيفية تلك السنوات الثلاث عشرة قبل الهجرة النبوية المباركة، فإن لم يسقطها فإنه يلوي عنق الحقيقة، بدعوى باطلة تقول بأن تلك السنوات الثلاث عشرة لم يكن بمقدور المسلمين فيها رفع السيف في وجه الاضطهاد!

**شهادة السيف على كذب المغرضين!**

«السيف».. تعبير قديم يراد به استعمال القوة المسلحة، من طرف واحد غالبا، أي بمنطق العدوان وغصب حق الغير، وهذا من الاستعمالات اللغوية الشائعة عبر العصور، فحين يقال مثلا أن فلانا أخذ مال فلان بحد السيف، فهذا معناه أن صاحب السيف غصب مال الآخر، واستضعفه.. أما على صعيد الاستعمال القرآني فسندهش حين نرى أن تعبير «السيف» لم يرد في الكتاب الحكيم ولا مرة واحدة، ولا حتى على سبيل الإشارة من طرف خفي، مقارنة بوروده في الكتاب المقدس ٣٩٠ مرة[٥] فقط بصيغة الإفراد، وذلك بحسب إحصاء إحدى الصفحات المسيحية غلى شبكة الإنترنت.

وعلى أية حال، وبصرف النظر عما إذا كان تعبير «السيف» يراد به الغصب والعدوان أو القتال المتكافئ المشروع، فإن المسلمين منذ عهد الإسلام المبكر وحتى انقضاء العام الثالث عشر من البعثة لم يرفعوه، لأنهم ببساطة لم يتلقوا إذنا بهذا الصدد.

بالطبع إن ادعاء الطاعنين في شرف الإسلام ونبيه بأن السنوات الثلاث عشرة السابقة للهجرة النبوية لم يكن بمقدور المسلمين فيها رفع السيف في وجه الاضطهاد، ليس سوى ادعاء أجوف، يدحضه أن حال المسلمين من الضعف أو القوة لم يتغير كثيرا بين عشية وضحاها.

بل يمكن القول بأن المسلمين حين كانوا في مكة يتحملون الاضطهاد بصبر طاعة لله تعالى ولرسوله الكريم، كانوا من حيث وجهة نظر الإنسان العادي، كانوا أقوى وأقدر من وضعهم الجديد بعد الهجرة والإذن لهم بالقتال.. كيف هذا يا ترى؟!

لقد دخل الإسلام في عامه الأول ثلة من كبار شخصيات قريش، كأم المؤمنين حضرة خديجة (رضي الله عنها) وحضرة أبي بكر الصديق ﷺ، وفي دار الأرقم، انضمت لحظيرة الإسلام شخصيات ذات ثروة ورأي كحضرة عثمان بن عفان ﷺ، وهؤلاء حازوا من الثروة المادية ما يكفي ويفيض لتمويل عمليات انتحارية كالتي تمولها كبرى الحكومات حاليا دون جدوى، كذلك انضمت إلى حظيرة الإسلام شخصيات عرفت ببأسها الشديد كعمر بن الخطاب ﷺ.. وليس هذا فحسب، بل حتى إن من فقراء المسلمين ممن آمنوا في تلك الفترة المبكرة كعبد الله بن مسعود الذي صدع بقراءة القرآن في المسجد الحرام فأُبرح ضربا، وكررها حتى سئم المشركون من ضربه، فهؤلاء امتازوا بروح التضحية والفداء بحيث لو أمروا بالإجهاز على سادات قريش أصحاب سياسة الاضطهاد لفعلوا دون تردد.. ولكن هذا لم يحدث.

فإذا ما قفزنا بالزمن عشر سنين إلى الأمام، وكنا في مجتمع المدينة المنورة الجديد، والذي كانت اللقمة تقتسم فيه بين المسلم الأنصاري وأخيه المهاجر، حيث خلف المسلمون المهاجرون وراءهم أموالهم في مكة، فإننا يمكننا القول مطمئنين بأن حال المسلمين في المدينة حين أُذن لهم بالقتال لم تكن بأفضل من حالهم في مكة، والأسباب المادية لم تكن في صالحهم مقارنة بالحال حين كانوا في مكة. وهذا ما تشير إليه الآية الكريمة بعد نصر بدر المؤزر، يقول تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ.﴾[٦]

فلو تصورتا أن السيف يتكلم، فسنسمعه يرد على أولئك المستشرقين المغرضين قائلا: تالله إنكم لكاذبون!

**شبهات التنصير والإلحاد.. الممارسة الدجالية القديمة**

في الواقع إن غض الطرف عن جريمة صناديد مكة والتركيز فقط على فكرة حمل المسلمين السيف، هو اقتطاع للأمور من سياقها، وهذه ممارسة دجالية قديمة يبلغ عمرها خمسة قرون أو يتجاوزه بقليل. والمحاولات المستميتة من جانب أساطين التنصير والمستشرقين في سبيل إظهار مجرمي مكة المعتدين في مظهر الضحية أمر لا يكاد يُصدَّق! فعلى الرغم من أن هؤلاء القساوسة والمستشرقين يبدون أتباع دين يدعو إلى السلم والخلق القويم، أي أن انتصارهم للطرف المجرم أمر يستحق الوقوف عنده مليا، ويكاد لا يماثله في التاريخ سوى موقف كبار يهود المدينة من المسلمين، حين قصدوا مكة متآمرين مع مجرميها على المسلمين في المدينة، ويحكي القرآن المجيد موقف اليهود في سياق قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾[٧].. إن المرء لا يتخذ هذا الموقف الأعوج إلا حين يُسقط من حساباته وجود ذات أعلى خالق ورقيب، فهذا الموقف موقف إلحادي بكل المقاييس، وهو موقف قد ارتضاه قساوسة التنصير ومستشرقو الطعن لأنفسهم منذ قرون، ويحاولون بواسطته عبثا طمس الحقائق الجلية، ولكن طالما فشلت محاولاتهم وأسفرت عن جمال الإسلام الخفي أكثر وأكثر.

**سُنَّةُ دَفْعِ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ**

الأصل في شريعة الإسلام هو السلم التام، شكلا ومضمونا، ويتجلى هذا الأصل أبهر تجلٍّ في الدعوة القرآنية إلى جنوح المسلمين للسلم إذا ما أبدى محاربوهم الجنوح إلى السلم، ولو اضطرارا، وذلك بحسب قوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[٨].. فإذا كان هذا هو موقف الإسلام الرسمي ممن رفعوا السيف عليه، أفتراه يرفع السيف على غيره عدوانا؟! بالطبع لا.. فحتما وراء تشريع الإسلام القتال سبب داع.. فما هو يا ترى؟!

سلسلة الجواب على التساؤل السالف تقدمها الآية الكريمة من سورة الحج المباركة، وبالمناسبة، إنها السورة التي نزل فيها تشريع القتال والإذن به، يقول تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[٩]، ففي هاتين الآيتين

المتواليتين من سورة الحج نطلع على جملة فوائد: أولاها بيان الإذن الرسمي بالقتال، وأنه كان المرحلة الأخيرة بعد ثلاث عشرة سنة من الصبر الإسلامي إزاء الاضطهاد القرشي، وهو اضطهاد طال المسلمين جميعا دون استثناء، فقيرهم وثريهم. وحتى بعدما اضطر المسلمون إلى شق طريق الهجرة مؤثرين السلامة والسلم، فإن هذا لم يُرضِ غرور صناديد مكة، فقرروا ملاحقتهم حتى في مهجرهم.. إن فعلة مشركي مكة هذه بمعايير عصرنا تدينها كافة المواثيق الدولية، مثل ميثاق الأمم المتحدة لحماية اللاجئين.. بل إن جريمة صناديد مكة كانت مضاعفة، ففوق أنهم أعلنوا النفير للقضاء على المسلمين الفارين بدينهم تاركين لهم ديارهم وأموالهم لينهبوها، أقدموا فوق ذلك على غزو وطن وشعب مستقل ذي سيادة.. لا شك أن الله تعالى الحي القيوم يسمع ويرى ما يحدث، فينبغي على كل متبصر أن يَتوقع حدوث أمر ما يضبط الموازين، إن كان يؤمن بأن لهذا الكون إلها!

## الإِسْلَامُ، وَالحَرْبُ مِنْ أَجْلِ السَّلَام

الإذن الإلهي المعلن للمسلمين بالقتال في آية (الحج: ٤٠) تعلله الآية التالية مباشرة، أي (الحج: ٤١)، وذلك أن الإذن بحمل السلاح لم يأتِ إلا بعد سنين من الصبر على وقاحة مجرمي مكة، وفي نهاية تلك السنين العشر، صار شابا من كان في بدايتها صبيا غِرًّا، فأقام الله تعالى الحجة على مجتمع مكة بأكمله، حتى إن من شباب مكة الذين عاصروا اضطهاد المسلمين قديما قد أقروا لاحقا ببراءة ساحة الإسلام ونبيه من تهمة العدوان والإكراه على اعتناق الإسلام، إذ لأسلم العديد منهم طواعية بمحض إرادته، مثل خالد بن الوليد وعمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنهم).. فتلك شهادة المعاصرين للحدث، أفنتركها لأجل تهمة غائب غاضب؟!

وإذا تعمقنا في الموضوع أكثر، وجدنا أن قتال المسلمين في مجمله كان لأجل إقرار مبدأ الحرية الدينية، فلو كان المسلمون دعاة إكراه كما يزعم المنصرون، لما كان هناك وجود للمجتمع الإسلامي التعددي، بدءا من مجتمع المدينة المنورة الذي ضم الوثنيين واليهود جنبا إلى جنب مع المسلمين..

إن أغرب ما في الموضوع أن المجرم يرمي البريء بعيبه هو، فأصحاب محاكم التفتيش الإسبان ومن على شاكلتهم يتهمون الإسلام ونبيه بالإكراه في الدين، علما أن مجتمع الأندلس الإسلامي كان مجتمعًا نعم فيه أهل كافة الأديان بالحرية والسلام، حتى إن يعود الأندلس لم يطب لهم المقام بعد انتهاء حكم المسلمين هناك، ففروا بأرواحهم وأموالهم إلى الجنوب حيث حكم المسلمين أيضا.

إن آية (الحج: ٤١) بإيجاز توضح سبب رفع نبي الإسلام سيفه للقتال، وأنه ليس بغية كسب مادي أو لنشر دينه بالقوة، بل دفاعا عن النفس، لإنقاذ الإسلام من الإبادة أولا، وإرساء مبدأ حرية الدين والفكر كحق لجميع الناس وجميع الأديان ثانيا. وهكذا فكل حرب خاضها الرسول الكريم يجب أن ينظر إليها من ذلك المنظار. فوفقًا للآية المذكورة أعلاه إنه من واجب المسلمين حماية ليس فقط المساجد ولكن أيضًا أماكن العبادة عند الأديان الأخرى وضمان حرية الدين لجميع الناس، يتوافق هذا تمامًا مع القرآن الكريم الذي ينص صراحة على أنه ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾[١٠]، ولله در أمير الشعراء أحمد شوقي حين قال:

الحربُ في حقٍّ لديكَ شريعةٌ
ومن السمومِ الناقعاتِ دواءُ[١١].

**الهوامش:**

١. سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله
٢. القاضي أبو الفضل عياض بن موسى، «الشفاء بتعريف حقوق المصطفى»، ج١، ص٩٠، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٢
٣. (العلق: ٢)
٤. (الشعراء: ٢١٥)
٥. محرك البحث في الكتاب المقدس
٦. (الأَنْفال: ١٨) ٧. (النساء: ٥٢) ٨. (الأَنْفال: ٦٢)
٩. الحج: ٤٠-٤١) ١٠. (البقرة: ٢٥٧)
١١. أحمد شوقي، «الشوقيات»، قصيدة «ولد الهدى».

# ظاهرة وأد البنات في الجاهلية، وبراءة عمر بن الخطاب رضي الله عنه من ممارسته

سوريا
عائشة أحمد البراقي

**البداية من النهاية، وقيمة الأنثى في الإسلام**

المرأة في الإسلام إنسان مكرم، حظيت ببرٍ عظيم، حيث أوجبت الشريعة الغراء والسنة السمحاء إكرامها والإحسان إليها، والرفق بها. والقرآن الكريم مملوء بالإشارات، الدالة بشكل مباشر، على إكرام الأنثى كمخلوق ذي روح وشخصية، وهي تفضل الذكر في مواطن، ومن اللطائف التفسيرية للنص الحكيم، يقول سيدنا المصلح الموعود رضي الله عنه في معرض تفسيره الآية السابعة والثلاثين من سورة آل عمران: «أما عبارة «وليس الذكر كالأنثى»، فهي على الأرجح كلمات الله، ومعناها كما ورد في النص، أن الذكر الذي كانت امرأة عمران تروم إنجابه ليس كالأنثى التي وضعتها.»[١]

ومما أُثر عن النبي ﷺ في حسن معاملة البنات قوله ﷺ: «من كان له ثلاثُ بناتٍ فصبر عليهن وأطعمهنَّ وسقاهنَّ وكساهُنَّ مِن جِدَتِه كنَّ له حجابًا من النَّارِ يومَ القيامةِ.»[٢]

كما قا أيضا ﷺ: «النساء شقائق الرجال.»[٣]

وقال ﷺ: «استوصوا بالنّساء خيرا.»[٤] فغاية القول في هذا الباب أن الإسلام انتقل بالمرأة من حال إلى حال، فضمن لها على سبيل المثال لا الحصر ذمة مالية خاصة، تتيح لها البيع، والشراء، والتعاقد، والتصدُّق من مالها الخاص دون وصاية، كما أبقى لها اسمها ونسبها.

**الجذور التاريخية لوأد البنات، وهل كان عادة اجتماعية أم ظاهرة فردية؟!**

لا يخفى على أحد سوء وضع المرأة العام خلال فترات طويلة من التاريخ، وذلك من نواح شتى، وهنا نكتفي بالإشارة إلى حال العرب قبل الإسلام، أي عرب الجاهلية، والذين عرفت لديهم ظاهرة وأد البنات، التي وإن لم تأخذ منحى العادات والتقاليد، إلا أنها تبلورت في صورة ظاهرة مذمومة، ورغم ذلك لم تلق جزاء وفاقا من التجريم.

لا بدّ من الإشارة إلى أنّ قتل الأولاد لم يكن بدعة عربيّة، إذ قامت بعض الأمم القديمة بما هو أشنع، إذ كانت إسبرطة تقضي بإعدام الأولاد الضعاف، أو المشوّهين عَقب ولادتهم، أو تركهم في القفار طعامًا للوحوش والطيور، وكانت الأمّ تغمس الوليد في دنّ من النبيذ مدّة، فإنْ عاش دلّ هذا على قوّته وصلاحيّته للحياة، وإنْ مات تخلّص المجتمع من عضو ضعيف، وهذا النظام نفسه، أو ما يقرب منه كان منتشرًا في أثينا وروما، وقد أقرّه فلاسفة اليونان، وفي مقدّمتهم أفلاطون وأرسطو[٥]. وكذلك كان يجب على الآباء عند بعض الشعوب البدائيّة قتل أولادهم، أو بعضهم لاعتبارات دينيّة، أو اقتصاديّة، فيُستحيا البنات، ويُقتل البنون، أو يُستحيا البنون، وتُقتل البنات[٦]. فلم يكن وأد البنات أمرا مقصورا على العرب القدامى، لكنه كان ظاهرة اجتماعية عامة، ولدى العرب كان ظاهرة فردية ذميمة واسعة الانتشار، ولو نسبيًّا، وقد وقفت وراءها أسباب اجتماعية شتى، إذ كان العرب، في ظل سيادة نظام الأسرة الأبوية، يؤثرون البنين على البنات، وذلك للدور الرئيس الذي كان يلعبه الرجل في الاقتصاد والصيد والغزو والحروب، في حين تقلص دور المرأة في القطاع الاقتصادي، وتركز على تربية الأطفال وأعمال الطهي وتدبير شؤون البيت الأخرى.[٧]

ويُرجع بعض المؤرخين تاريخ الوأد إلى الفترة ما بين أواخر القرن السادس وأوائل السابع الميلادي، زمن النعمان بن المنذر، ملك الحيرة، فيقولون أن بني تميم منعوا الملك ضريبة الإتاوة التي كانت عليهم، فجرد النعمان عليهم حملة أوقعت بهم وسبت نساءهم. فأثاب القوم وسألوه النساء، فقال النعمان: كلّ امرأة اختارت أباها تركت عليه، فكلّهن اخترن آباءهنّ إلّا ابنة لقيس بن عاصم فإنها اختارت صاحبها عمرو بن المشمرج، فنذر قيس ألّا يولد له ابنة إلا قتلها، واعتلّ بهذا من وأد وزعم أنّه أنفةٌ وحميّة.[٨]

وكان مولد الذكر لدى العرب بعامة والأعراب بخاصة مبعث سرور وفرح، بينما كانت ولادة الأنثى مبعث غم وهم وكرب عظيم، لا سيما في أوقات سوء الحال الاقتصادية، أو غياب الأمن بسبب الغارات المتبادلة بين قبائل البدو، وقد صور لنا نص التنزيل الحكيم هذه الحال في قول الله ﷻ: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ.﴾[٩]

كذلك فإن الشعر الجاهلي، بوصفه ديوان العرب، قد سجَّل هذا الوضع الاجتماعي من تفضيل الأعراب الذكور على الإناث، ومما نقله إلينا الرواة بهذا الصدد ما روي عن امرأة أبي حمزة الضبي، إذ هجرها زوجها حين ولدت بنتًا، واتهمها بأنها مئناث لا تنجب إلا الإناث، ومر يوما بخبائها، فإذا هي تُرَقّصُ صغيرتها وترتجز قائلة.[١٠]

ما لأبي حمزة لا يأتينا
يظل في البيت الذي يلينا
غضبان أن لا نلد البنينا
تالله ما ذاك في أيدينا
وإنما نعطي الذي أعطينا

ونحن كالأرض لزارعينا

ننبت ما قد زرعوه فينا

كما وقفت عوامل شح الموارد والمجاعات وراء ممارسة الوأد، حيث جعلت الإنفاق على الإناث عبئا لا يطيق المُقدم على وأد ابنه تحمُّله، لا سيما قبل أن يتمثَّل الناس فحوى النهي القرآني: ﴿...وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ...﴾[١١]

ويذهب الباحثون المعاصرون إلى أن الوأد لم يكن عادة شائعة في قبائل العرب قاطبة على نحو ما صوره لنا بعض المؤرخين والمستشرقين في الماضي، وإنما كانت تمارسه بعض القبائل أمثال تميم، وكندة، وقيس، وأسد، وهذيل، وبكر بن وائل، وحتى هذه القبائل نفسها لم يفش الوأد في أفرادها جميعا، فلو كانت ممارسة وأد البنات تجري بالفعل كعادة منتشرة زمن الجاهلية بين العرب قبل الاسلام، فهنا يطرأ التساؤل عن الكيفية التي تناسل بها هؤلاء الجاهليون وتكاثروا! فهذا مؤذن بفناء القبيلة، خصوصا إذا وضعنا في الحسبان أن الزواج من خارج القبيلة كان يُعدُّ أمرًا متعسرا. غير أن ما يطمئن العقل إليه في هذا المقام أن الوأد كان معروفا لدى القبائل العربية، وكان يمارسه واحد من أفراد القبيلة مقابل عشرة يتركونه.[١٢]

## السعي لتوريط الفاروق في الفعلة الشنعاء، وبراءته ﷺ المثبتة بالأدلة عقلا ونقلا

نظرا إلى المكانة البارزة التي تبوأها ثاني الخلفاء الراشدين في تاريخ الإسلام، فإنه لم يسلم من التهم الموجهة إليه زورا وبهتانا، ومنها ما ذكر عنه أنه مَن وأد ابنةٍ له في الجاهلية. وخلاصتها: أنّه ﷺ كان جالساً مع بعض أصحابه، إذ ضحك قليلاً، ثم بكى، فسأله مَن حضر، فقال: كنّا في الجاهليّة نصنع صنماً من العجوة، فنعبده، ثم نأكله، وهذا سبب ضحكي، أما بكائي، فلأنه كانت لي ابنة فأردت وأدها، فأخذتها معي، وحفرت لها حفرة، فصارت تنفض التراب عن لحيتي، فدفنتها حية.

وعلى الرغم من أن أيًّا من المصادر التاريخية لم يشر إلى هذه الواقعة، إلا أنها، للأسف الشديد، تجد فرصة للترديد على ألسنة بعض المُحدثين المتأثرين بالتوجهات الاستشراقية. غير أننا نقرأ للأستاذ عبّاس محمود العقاد تفنيدا لهذه التهمة في كتابه عبقرية عمر، حيث شكك العقاد في صحة هذه القصة؛ لأنّ الوأد لم يكن عادة شائعة بين العرب. وإمعانا في سرد أدلة براءة الفاروق ﷺ نورد أمورا كثيرة، منها أنه تزوج من زينب بنت مظعون (رضي الله عنها) فولدت له السيدة حفصة أم المؤمنين (رضي الله عنها)، وهي ابنته الكبرى، ولدت قبل البعثة النبوية بخمس سنين[١٣]. وجاء في المستدرك وغيره عن عمر ﷺ قَالَ: "وُلِدَتْ حَفْصَةُ وَقُرَيْشٌ تَبْنِي الْبَيْتَ قَبْلَ مَبْعَثِ النَّبِيِّ ﷺ بِخَمْسِ سِنِينَ"[١٤]. فإذا كان عمر ﷺ لم يئد أكبر بناته وأول أولاده؛ فذلك أدل على امتناعه أن يئد الأصغر منها، كما أنه لم يرد إلينا شيءٌ من أخبار تلك الموءودة ولم تُذكَر في أبنائه مطلقًا، كما أن سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ ينسب إلى بني عدي، الذين لم يعرف فيهم وأد البنات؛ وليس أدل على ذلك من حياة أخته فاطمة (رضي الله عنها)، التي تزوجت سيدنا سعيد بن زيد ﷺ ابن عم سيدنا عمر ﷺ، وكانت هي وزوجها سببًا في إسلام سيدنا عمر ﷺ وإعزاز الإسلام به. كما كان زيد بن عمرو بن نفيل، عمّ عمر وحمي أخته، معروفا بمجابهته لوأد البنات وإنقاذ الموءودات في الجاهلية، وكان عمر يحترمه، ممّا يجعله بعيدا عن هذه الممارسة كلّ البعد.

**وجاء في المستدرك وغيره عن عمر ﷺ قَالَ: «وُلِدَتْ حَفْصَةُ وَقُرَيْشٌ تَبْنِي الْبَيْتَ قَبْلَ مَبْعَثِ النَّبِيِّ ﷺ بِخَمْسِ سِنِينَ»[١٤]. فإذا كان عمر ﷺ لم يئد أكبر بناته وأول أولاده؛ فذلك أدل على امتناعه أن يئد الأصغر منها، كما أنه لم يرد إلينا شيءٌ من أخبار تلك الموءودة ولم تُذكَر في أبنائه مطلقًا،**

فغاية القول أنْ ليس لهذه القصة وجود إلا لدى مبغضي عمر ﷺ وكارهيه، الذين يتعمدون تشويه صورته في نفوس الناس، فيضعون الروايات لأجل هذا المسعى الخبيث.

ومما يدل أيضا على بطلان هذه القصة: ما رواه النعمان بن بشير عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ (رضي الله عنهما) حين سئل عن قَوْلِ اللهِ تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ.﴾ (التكوير: ٩-١٠)، قَالَ: جَاءَ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي وَأَدْتُ بَنَاتٍ لِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَالَ ﷺ: «أَعْتِقْ عَنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ رَقَبَةً. قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي صَاحِبُ إِبِلٍ. قَالَ: فَانْحَرْ عَنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ بَدَنَةً.»[١٥]

فرواية سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ لفعل قيس بن عاصم دليلٌ على بطلان الوأد المنسوب إليه زورا؛ إذ لو كان قد حصل منه ذلك فعلا لذكره في ذلك الموقف الذي سئل فيه عن الوأد. وعلاوة على ما سبق فإن تحليلنا لسياق المقام المحيط بالرواية التي رواها عمر بن الخطاب ﷺ عن قيس بن عاصم عندما ذكر وأد بناته أمام النبي ﷺ، نخلُص إلى أنَّ عمر ﷺ كان مستمعًا، لا أكثر، فلم يشر أي من المصادر التاريخية إلى أنه أقرَّ بهذه الفعلة، بل كان مجرَّد مستمع. إذن، فالتهمة القائلة بقيام سيدنا عمر ﷺ بوأد ابنته في الجاهلية، إنما هي افتراءٌ مَحضٌ، ظاهرُ البطلان؛ بالأدلة المروية والمعقولة، بل الثابت خلاف ذلك تماما.

**الهوامش:**

Mirza Bashir Ud Din Mahmoud Ahmed, The Holy Quran - 1 with English Translation and Commentary, Vol 2, P 479-480, Islam International Publications Limited.

٢ – أخرجه ابن ماجه (٣٦٦٩)

٣ – رواه أبو داود والترمذي والإمام أحمد.

٤ – صحيح مسلم، كتابالرضاع

٥ – عبد القادر بن عمر البغداديّ، خزانة الأدب لسان العرب، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٧.

٦ – أبو عبيد البكري، سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، تحقيق عبد العزيز الميمني، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٩٣٥.

٧ – حسن علي مجلي، وأد البنات والبنين في صحراء الجزيرة العربية واليمن، مجلة الرابع عشر من أكتوبر، بتاريخ ٢٢ سبتمبر ٢٠١٣

٨ – أبو المعالي محمد بن حمدون، التذكرة الحمدونية، ط١، ج٧، ص٣٣٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٧ هـ

٩ – (النحل: ٥٩-٦٠)

١٠ – بشير يموت، شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، ط١، ص١٩٣، المكتبة الأهلية، بيروت، ١٩٣٤م.

١١ – (الأنعام: ١٥٢)

١٢ – ينظر: أبو الفضل الميداني، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ج١، ص١٢٥، بيروت، ٢٠٠٣م.

١٣ – ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧، ص١٥٦، دار إحياء التراث.

١٤ – مستدرك الحاكم

١٥ – رواه البزار.

# مَعَ الإِدْرِيسِيّ، جُغْرَافِيَّةُ العَالَمِ فِي نُزْهَة

الأردن

د. منى محمد

**كان** الإدريسي أحد أشهر الرحالة المسلمين في القرن السادس الهجري، الذين خرجوا في رحلات استكشافية علمية شملت جل العالم القديم بقاراته الثلاث، آسيا وأفريقيا وأوروبا، وبمقتضى أنه تفرَّد بجهوده العلمية، وسَبَقَ الذين قبله بآرائه وأفكاره ومؤلفاته فقد اعتبر أحد أهم أقطاب علم الجغرافيا وأبرز مؤسسيه على أسس حديثة.

ولد أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحموي الحسني، سنة ٤٩٤هـ /١١٠٠م، في مدينة سبتة، التي تخضع الآن لسيطرة الاحتلال الإسباني، وعرف عالمنا بألقاب عدة، فهو «الشريف الإدريسي»، نسبة للحكام الأدارسة العلويين الذين أسسوا دولة الأدارسة بالمغرب فهو من نسلهم، كما لقب بـ«الصقلي» لاستقراره بصقلية ردحا من الزمن، ويعرف كذلك بـ"القرطبي" لقضائه معظم سني دراسته بقرطبة بالأندلس، كما يُعرف بـ «السبتي» نسبة لمسقط رأسه «سبتة».

بدأ الإدريسي دراسته في سبتة وفاس، ثم انتقل إلى قرطبة قبلة العلم والحضارة آنذاك، ومكث بها سنوات عدة أتقن خلالها الجغرافيا والفلك والرياضيات والطب والصيدلة وخواص النباتات، ثم يمم لطلب العلم صوب المشرق، فطاف ببلاد الإسلام في رحلة زار خلالها الحجاز وتهامة ومصر، ومنها سافر إلى القسطنطينية

**قد تم للشريف الإدريسي فوائد السفر كافة، إذ مهدت له أسفاره وضع مؤلفاته، فقد انطلق في رحلته إلى شبه الجزيرة الأيبيرية وجنوبي إيطاليا والبرتغال. كما وصل إلى شواطئ فرنسا وجنوبي إنكلترا وتجول بمدنها، ثم عبر البحر إلى شمال أفريقيا وجاب المغرب الأقصى شمالا وجنوبا، ...**

وسواحل آسيا الصغرى ليبدأ في الرجوع ناحية المغرب مرة أخرى، ويصل سواحل فرنسا وإنكلترا، وقيل إن عمره حين زار آسيا لم يكن قد تجاوز بعدُ السادسة عشرة.

**أسفاره**

كان الإدريسي يتمتع بشخصية جذابة، موهوبة، وعقلية علمية نهمة للمعرفة والاستكشاف، وقد اتخذ من السفر والترحال وسيلة لإشباع نهمه ذاك، فخرج في رحلات علمية كثيرة كان لها أكبر الأثر في تكوين معلوماته الجغرافية والتاريخية، حيث صقلته وشحذته علميا وفكريا. ولله در محمد بن إدريس الشافعي إذ عدد للسفر فوائد بقوله:

تَغَرَّب عَنِ الأَوطانِ في طَلَبِ العُلا
وَسافِر فَفي الأَسفارِ خَمسُ فَوائِدِ
تَفَرُّجُ هَمّ وَاكتِسابُ مَعيشَةٍ
وَعِلمٌ وَآدابٌ وَصُحبَةُ ماجِدِ
وَإِن قيلَ في الأَسفارِ ذُلٌّ وَمِحنَةٌ
وَقَطعُ الفَيافي وَاكتِسابُ الشَدائِدِ
فَمَوتُ الفَتى خَيرٌ لَهُ مِن حَياتِهِ
بِدارِ هَوانٍ بَينَ واشٍ وَحاسِدِ

لقد تم للشريف الإدريسي فوائد السفر كافة، إذ مهدت له أسفاره وضع مؤلفاته، فقد انطلق في رحلته إلى شبه الجزيرة الأيبيرية وجنوبي إيطاليا والبرتغال. كما وصل إلى شواطئ فرنسا وجنوبي إنكلترا وتجول بمدنها، ثم عبر البحر إلى شمال أفريقيا وجاب المغرب الأقصى شمالا وجنوبا، ومكث إذّاك حينا في مراكش، ثم انتقل من المغرب الأقصى إلى المغرب الأوسط (الجزائر حاليا)، فمكث في قسنطينة، ثم رحل إلى المشرق وتجول في آسيا الصغرى، وانتهى به المطاف في جزيرة صقلية، وهناك استقبله ملكها روجر الثاني النورماندي في بلاطه وأغدق عليه وكفله بالرعاية، وكان زملاؤه في بلاد الملك روجر الثاني يتهمون الملك باعتناقه الإسلام وذلك وفقاً لما وجدوا فيه من إعجاب شديد بغزارة علوم الإدريسي وثقافاته المتنوعة، ولا سيما علم الجغرافيا، وخير دليل على ذلك أن الشريف الادريسي

كان «يرأس الدائرة الجغرافية في بلرم، ويشرف على جهودها وينظمها.» [1]

**مشروعه في صقلية**

في ذلك الحين، كان علم الجغرافيا من العلوم الإسلامية، وكذلك كان من العلوم النادرة والقليلة، المعدودة على الأصابع، ففي صقلية بدأ الإدريسي عمله العلمي الكبير بوضع تصميم كروي لخريطة العالم ظل هو الأفضل والأكثر دقة إلى وقت قريب، وأغدق الملك روجر عليه المال، وطلب منه أن يضع كتابا شاملا في الجغرافيا لوصف طبيعة البلدان، وثقافاتها وجبالها وأنهارها وسهولها وأوديتها، فوضع كتابه الأشهر على الإطلاق «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» واعتمد في وضع هذا الكتاب العظيم على حصيلة مشاهداته في سائر رحلاته التي جاب خلالها البلدان والأقاليم المختلفة طيلة حياته منذ كان شابا يافعا، ولم يكتف بهذا وحسب، بل اعتمد كذلك على التقارير الموثوقة التي وصلته من الوفود التي أرسلها إلى مناطق أخرى لم يزرها بنفسه، وهى تقارير تتضمن معلومات جغرافية، ثم كان اعتماده في المقام الثالث على المراجع الجغرافية التي اطمأن إليها ووثق بمعلوماتها، كمؤلفات بطليموس، وابن حوقل، والمسعودي. واستغرق وضع كتابه «نزهة المشتاق» خمسة عشر عاما تقريبا، حتى فرغ من تأليفه في عام ٥٤٨هـ /١١٢٣م، وفى أعقاب وفاة الملك روجر في عام ١١٥٤م، خلفه غليوم الأول، الذي كلف الإدريسي بوضع كتاب آخر، فأجابه بتأليف كتاب «روضة الأنس ونزهة النفس»، الذي اشتهر باسم آخر فيما بعد، وهو «كتاب المسالك والممالك». كما وضع مؤلفات علمية عديدة تفصح عن علمه الواسع بعلوم الأرض والنبات والأعشاب والأدوية منها كتاب «الأدوية المفردة»، وكتاب «الصيدلة»، وكتاب «الجامع لصفات أشتات النبات».

**نزهة المشتاق**

على الرغم من تعدد مؤلفات الإدريسي وتغطيتها عددا لا بأس به من فروع المعرفة العلمية، من جغرافيا وتاريخ وصيدلة ونبات وغيرها، إلا أنه حين يُذكر اسمه يتبادر إلى أذهان الكثيرين عمله الأشهر «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق»، والذي ذكر فيه كافة الأسفار التي قام بها والبلدان التي زارها. كما احتوى أوصاف البلاد والأقطار والمواقع والتضاريس والبحار والأنهار والأودية والسهول، وكذلك غلات البلاد وتجاراتها سواء ما يَصْدُرُ منها أو ما يَرِدُ إليها، والعجائب التي تنسب إليها، وأحوال أهلها وهيئاتهم ومذاهبهم وأزيائهم ولغاتهم وما يذكر عنها من العجائب والغرائب، وغيرها من المعارف العمرانية والحضارية، وكذلك مواقعها في الأقاليم السبعة، والأقاليم السبعة تعبير جغرافي قديم يشير إلى تقسيم أهل الهيئة في ذلك الزمان للربع المعمور من الأرض إلى سبعة أقاليم، بالنظر إلى أسمائها سيبدو لنا أنه تقسيم سياسي أكثر منه مناخي أو تضاريسي، وتلك الأقاليم السبعة هي:

**على الرغم من تعدد مؤلفات الإدريسي وتغطيتها عددا لا بأس به من فروع المعرفة العلمية، من جغرافيا وتاريخ وصيدلة ونبات وغيرها، إلا أنه حين يُذكر اسمه يتبادر إلى أذهان الكثيرين عمله الأشهر «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق»، والذي ذكر فيه كافة الأسفار التي قام بها والبلدان التي زارها.**

* الإقليم الأول: بلاد الهند
* الإقليم الثاني: إقليم الحجاز
* الإقليم الثالث: إقليم مصر
* الإقليم الرابع: إقليم بابل
* الإقليم الخامس: بلاد الروم والشام
* الإقليم السادس: بلاد الترك
* الإقليم السابع: بلاد الصين

حرص الإدريسي على دعم كتابه «نزهة المشتاق» بسبعين خريطة تفصيلية للعالم المعروف في زمانه، اشتملت على تحديد المواقع لـ ٣٥٦ مدينة أفريقية، و٧٤٠ مدينة أوروبية، و٩٥٩ مدينة آسيوية. فكان بحق أعظم أطلس جغرافي بمقاييس زمانه، وليس من باب المبالغة إذا قلنا حتى بمقاييس هذا الزمان إذ اهتمت الدوائر العلمية في العالم بهذا الكتاب وصنّفته على أنه إنجاز غير مسبوق في مجاله، كما اعتبرت الإدريسي بهذا الكتاب أول جغرافي يقوم بمشروع علمي امتد ليغطي جميع أقطار المعمورة، في الوقت الذي كانت فيه أعمال الجغرافيين والرحالة العرب تهتم بالعالم الإسلامي فقط. وقد طبع كتاب «نزهة المشتاق» للمرة الأولى في فلورنسا بإيطاليا في عام ١٥٩٢م، وهي أقدم طبعة بالحروف العربية، وبعد ذلك وضعت له ترجمات ومختصرات بلغات أوروبية مختلفة. وقالت عنه دائرة المعارف الفرنسية: «إن كتاب الإدريسي هو أوفى كتاب جغرافي تركه لنا العرب، وإن ما يحتويه من تحديد للمسافات ووصف دقيق يجعله أعظم وثيقة علمية جغرافية في القرون الوسطى».

**الهوامش:**

١. د. إحسان عباس ( ت : ١٤٢٤ هـ) العرب في صقلية، دار الثقافة، بيروت ــ لبنان، ط١، ١٩٧٥، ص: ١٦٠

وبَلَرْمُ : بفتح أوله وثانيه، وسكون الراء، وميم، معناه بكلام الروم المدينة: وهي أعظم مدينة في جزيرة صقلية في بحر المغرب على شاطئ البحر. يُنظر ( ياقوت الحموي ( ت : ٦٢٦ هـ ) معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥ م، عدد الأجزاء ( ٧ )، (١/ ٤٨٣)

**هل** تخيلت يومًا أنك قد تلقي بنفسك إلى التهلكة دون أن تشعر؟! لا لفقدانك الرغبة في الحياة، بل لإصرارك أحيانا على فكرة معينة لصيقة بذهنك، كأن تُحافظ على وزنك مثلا! يبدو هذا السبب محمودًا، لكن في الواقع هناك أشخاص يفعلون ذلك لمعاناتهم من حالة مرضية تُعرف بـ «الأناروكسيا Anorexia» وبالعربية تُعرف بالقَهَام العصبي، أو فقدان الشهية العصبي.. فهذا المقال رحلة استطلاعية لاستكشاف سر هذا المرض للحيلولة دون تمكنه من حياتك مستقبلا.

الهند

د. ثمر حفيظ

يتصور البعض أن التقليل من كميات الطعام أو حتى الامتناع عنه إلى حين هو من مقتضيات الصحة العامة، وهذا أمر ثبتت فاعليته ولا شك، ولكنه يجري وفق مبدأ أساسي أجمله القرآن الحكيم في قول الله ﷻ: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[1] والإسراف كما أنه يتجه إلى حد الكثرة أحيانا، فقد يتجه إلى حد القلة والحرمان أحيانا أخرى، وكلتا المنقصتين منهي عنهما في شريعة الإسلام، حيث يقول الله ﷻ أيضًا: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا.﴾[2]، فأنْ يحرِم المرء نفسه من المقدار المستحق من الغذاء ليقيم أوده، ظنا أنه أمر يستجلب الصحة، لن يأتي بخير على الإطلاق، لا سيما إذا بلغ الأمر حدود مرض فقدان الشهية العصبي. فما طبيعة ذلك المرض يا ترى؟!

**قاتل متسلل**

يُعرَف اضطراب الشهية العصبي بأنه أحد أشكال اضطرابات التغذية، ويتميَّز بالسعي الدؤوب للوصول إلى النحافة، والنظرة المشوهَة لشكل الجسد والخوف المُبالَغ فيه من الإصابة بالسمنة، والتقليل الشديد لكميات الطعام المستهلكَة، مما يؤدي إلى انخفاض ملحوظ في وزن الجسم.[٣] ويبدأ اضطرابُ فقد الشَّهية العصبي في الظهور خلال فترة المراهقة عادة، وهو أكثر شُيُوعًا لدى الإناث مقارنةً بالذكور[٤] المريض بهذا لاضطراب، وعلى عكس ما يُتوهَّم من اسم ذلك المرض، لا يفقد شهيته بالمعنى المفهوم، بل على العكس تماما، تكون لديه الشهية الطبيعية للأكل، وعنده الرغبة في تناول الطعام، إلا أنه يرفض تناوله، لتوهمه أنه يعاني من زيادة الوزن وأنه بحاجة إلى خسارته. إن من يعاني من هذا المرض يحاول بشتى الطرق خسارة وزنه، فيلجأ إلى ممارسة الرياضات العنيفة، ويتقيأ الأكل في حال إجباره على تناوله، رغم أنه في الواقع لا يعاني من البدانة وليس بحاجة إلى خسارة الوزن من الأساس، فهو من ناحية ينهك جسده ويُدْئِبُهُ، ومن ناحية أخرى يجيعه معرضا إياه إلى كارثتين تستنزفان طاقته وعمر خلاياه.

**فتياتنا الضحية الأولى!**

لقد اتفق المتخصصون في الطب النفسي على أن فقدان الشهية العصبي يزداد حدوثه في جانب الإناث بدرجة أكبر، خاصة في الفترة العمرية من ١٥ إلى ٢٥ عامًا، لحرص الإناث في هذه السن بوجه خاص على مظهرهن، حيث إن هذه الفترة العمرية تبدأ بسني المراهقة وتمتد حتى سن الزواج في المجتمعات الشرقية التي تسود فيها عادة التبكير في سن تزويج الفتيات.

ولكن من الخطأ حصر ضحايا هذا المرض النفسي في الفتيات وحسب، إنما ما نعنيه أن الفتيات هن الأكثر عرضة له واستعدادا للإصابة به. وبشكل عام، فإن من يعاني منه، سواء كان ذكرا أم أنثى، كبيرا أم صغيرا، فإنه يكون لديه خلل في الأفكار، أي أن تصوره عن جسمه يكون مشوها، فمن الممكن أن يكون نحيفًا، إلا أنه يرى نفسه بدينًا، وبالتالي يحاول خسارة وزنه بأي طريقة كانت ويمكن أن يلجأ إلى طرق كيميائية لخسارة الوزن، كأن يتناول أدوية تُقهِي المعدة (تصدُّ أو تسدُّ الشهية)، وهناك من يتناولون تناول أدوية مدرة للبول لذات الغرض.

**على حافة الموت**

إن المحاولات المستميتة التي يبذلها المريض بفقدان الشهية العصبي من أجل خسارة الوزن غالبا ما تكلل بالنجاح، نعم، إنه ينجح غالبا في السير قدما على طريق الانتحار، وليته يدرك هذا.. فإنه بالفعل يُنقص من وزنه، لكن بصورة مبالغ فيها، فإن الاستمرار في رفض تناول الطعام إلى فترة، ينتج عنه تقلص حجم المعدة ويصاحب ذلك التقلص فقدان كبير للشهية، ومن ثم يأخذ الوزن في النقصان حتى يصل إلى النحافة الزائدة بحيث تبرز العظام من وراء الجلد، ويؤدي ذلك إلى مضاعفات كثيرة، منها تكسير البروتينات الموجودة

بالجسم في حالة تناول أدوية مدرة للبول، ويدخل المريض مرحلة جديدة تتمثل في فقدان العناصر المعدنية الأساسية، كنقص البوتاسيوم والصوديوم، ما يؤدي إلى ضعف عضلي عام قد يودي بالشخص إلى الشلل لا سمح الله، وإذا لم يخضع من يعاني من فقدان الشهية العصبي للعلاج في وقت مناسب فقد يكون عُرضة للموت المحقق.

## النفس كَالطّفلِ

لله درُّ البوصيري صاحب البردة، إذ قال في بردته الشهيرة:

والنَّفسُ كَالطّفلِ إِنْ تُهمِلْهُ شَبَّ عَلَى
حُبِّ الرّضَاع وَإِنْ تَفْطِمْهُ يَنفَطِمِ.[٥]

قد صدق البوصيري وأصاب كبد الحقيقة والمغزى من هذه الفلسفة العميقة، نعم، إن نفس الإنسان كالطفل المدلل، والذي قد يطلب الطعام ليأكل بِنَهَم أحيانا، وأحيانا أخرى قد يعزف عن الطعام وينبذه مفضلا اللهو واللعب، ففي كلتا الحالين لا يحسن بنا مجاراته دوما، وإلا فإننا نجاريه في الإضرار بصحته، فينبغي ألا يترك القياد للنفس في كل الأحوال لتفرط في تناول الطعام أو تفرط في الإمساك عنه، فإنها حقا مثل الطّفل، إِنْ تُهمِلْهُ شَبَّ عَلَى حُبِّ الرّضَاع، وَإِنْ تَفْطِمْهُ يَنفَطِم! ومن الجانب النفسي لهذه الظاهرة المَرضيَّة، نجد أن من يعاني منها غالبًا ما يتصف بالحساسية المفرطة، وأغلب المرضى بفقدان الشهية العصبي سبق لهم التعرض لانتقادات جارحة لمظهرهم العام في فترة من حياتهم، ولربما كان مثل هؤلاء يعانون من البدانة شيئا ما بالفعل من قبل. وقد تكون البداية رغبة عادية في إنقاص الوزن، بهدف الحصول على القوام الرشيق واللياقة البدنية ثم تتطور الأمور بصورة وَسْوَاسِيَّة تدفع الشخص إلى رفض تناول الطعام.

## حزمة العلاجات النفسية

لأن مرض فقدان الشهية العصبي مرض نفسي في المقام الأول، فمن العبث البحث عن علاج ناجع له خارج الإطار النفسي، وقد أدرك المختصون هذه الحقيقة بالفعل، لذا فقد حددوا للمرض عدة طرق للعلاج، وكلها في الإطار النفسي، ولكن بأساليب مختلفة بحيث يتناسب كل أسلوب مع فئة معينة من ضحايا المرض، وتتلخص أساليب العلاج النفسي لمرض فقدان الشهية العصبي في حزمة من ثلاثة علاجات نفسية مُجرَّبة، هي العلاج السلوكي المعرفي، والعلاج النفسي التحليلي، والعلاج النفسي الجمعي. فأولها، العلاج السلوكي المعرفي، وهو نوع شائع من العلاج النفسي، وفي العلاج السلوكي المعرفي، ستتعامل مع مستشار صحة عقلية (معالج نفسي أو اختصاصي معالجة) بطريقة منظمة، مع حضور عدد محدود من الجلسات. يساعدك العلاج السلوكي المعرفي في إدراك التفكير غير الدقيق أو السلبي، بحيث يمكن أن ترى المواقف الصعبة بوضوح أكبر، وتتعامل معها بطريقة أكثر فعالية.

يُستخدم العلاج السلوكي المعرفي لعلاج نطاق واسع من المشكلات، إنه النوع المفضل غالبًا من العلاج

النفسي لأنه يمكن أن يساعدك بسرعة على تحديد التحديات المعينة، والتعامل معها، كما أنه يتطلب القليل من الجلسات، مقارنة بأنواع أخرى من العلاج، ويتم بطريقة منظمة. وفي بعض الحالات، يكون العلاج السلوكي المعرفي هو الأكثر فعالية عندما يجتمع مع طرق علاج أخرى، مثل مضادات الاكتئاب، أو أدوية أخرى. وبهذا يكون هذا النمط من العلاجات من أنجع الوسائل في التعامل مع مرض فقدان الشهية العصبي وعلاجه، إذ قد يتطلب علاج المريض بفقدان الشهية العصبي استعمل بعض الأدوية كمضادات الاكتئاب وسواها، الأمر الذي يستدعي تدخل العلاج المعرفي السلوكي للحد من الآثار الجانبية السلبية لمضادات الاكتئاب كذلك، إذ إن العلاج المعرفي السلوكي في المقام الأول على تغيير الأفكار المشوهة التي تدفع المريض إلى رفض تناول الطعام. وتكمن المشكلة الأساسية في علاج مرض فقدان الشهية العصبي في رفض الشخص المصاب به للعلاج، لذلك يحتاج إلى فترة طويلة لإقناعه وتغيير أفكاره، وهنا تظهر أهمية دور العلاج السلوكي المعرفي، وتظل هذه الأهمية باقية حتى يتعافى المريض بإذن الله الشافي.

وثاني العلاجات النفسية لاضطراب فقدان الشهية العصبي هو العلاج النفسي التحليلي، وهو نمط علاجي يعتمد على سرد المريض للمواقف والأحداث التي تعرض لها في حياته وأثرت فيه، وكيف ينظر إلى ذاته هو، ويضع هذا النمط العلاجي المريض في موقف المشخص لمرض نفسه بنفسه، فيمكنه في كثير من الأحيان من فرصة البدء والمبادرة.

أما العلاج النفسي الثالث فهو العلاج النفسي الجمعي، ويشبه العلاج النفسي التحليلي، إذ يعتمد على سرد المريض للمواقف والأحداث التي تعرض لها في حياته وأثرت فيه كذلك، تماما كما يحدث في جلسات العلاج النفسي التحليلي، غير أن العلاج الجمعي يعتمد على علاج عدد من الأشخاص ممن يعانون من نفس المرض مجتمعين معًا، لكن بشرط أن يكون هناك تفاوت في حالتهم الصحية، بحيث يمثل الذي يصل إلى مرحلة النقاهة نموذجا يحتذى بالنسبة لزملائه الذين ما زالوا في منتصف الطريق، فالعلاج الجمعي يعتمد على الاستفادة من خبرات الآخرين.

وأخيرا، فإن التمتع بصحة جيدة لهو أكثر من مجرد السلامة من مرض أُصبنا به. فنمط الحياة الصحي يساعد على الشعور بالرضا والحيوية والحفاظ على نظرة إيجابية للحياة فيساهم في سلامتنا البدنية والعقلية والنفسية والاجتماعية. فصحتنا النفسية على قدم المساواة مع صحتنا البدنية كلتاهما تتعلقان ببعضهما البعض من منطلق تأثير النفس في الجسد والعكس.

**الهوامش:**

١ – (الأعراف: ٢٣)

٢ – (الفرقان: ٨٦)

٣. فقدان الشهية أو القُهام العصبي

٤ – نفس المصدر السابق

٥ – البوصيري، الكواكب الدرية في مدح خير البرية (قصيدة البردة)

# نحو فهم أعمق للإسلام في عصر الالتباس

**الدين المَرْضِيُّ للإنسانية**

تصب جميع فروع وجداول الديانات على اختلافها في بحر دين الإسلام، الدين الكامل والشامل الذي أكمله الله عز وجل على سيد الرسل وأشرف الأنبياء محمد ﷺ حيث يقول الله جل شأنه في كتابه العزيز: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا.﴾[1]، فلن يقبل بعد ذلك من أي شخص اعتناقه لدين آخر سوى الإسلام، وهل من عاقل يقبل هديةً أقل شأنًا من جوهرة الإسلام التي قدمها ورضيها الله تعالى لعباده لينالوا رضاه ويفوزوا بالجنة؟! يبين الله عاقبة من يحيد عن الإسلام ويسلك دينا آخر من خلال قوله: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ.﴾[2]

وقبل أن يحمل علينا بعض القراء الأعزاء من غير المسلمين، جراء إيرادنا الآية السالفة من سورة آل عمران، ظنا منهم أننا نقصر النجاة على معتنقي دين الإسلام وعقائده حصرا، نود توضيح نقطتين اثنتين غاية في الأهمية:

النقطة الأولى: أن أمر النجاة بيد الله وحده، فلا أحد يعلم من الذي سيُقبل منه ومن الذي لن يُقبل منه، وحتى النبي الخاتم ﷺ وهو من هو، قالها بصراحة: «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا فَإِنَّهُ لَا يُدْخِلُ أَحَدًا الْجَنَّةَ عَمَلُهُ قَالُوا وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِمَغْفِرَةٍ وَرَحْمَةٍ.»[3]

إذن، فمسألة النجاة حق حصري لله تعالى، ولا يملك مخلوق تقريره، ولا حتى العلم به.

سلطنة عمان

د. سلام علي البراقي

النقطة الثانية الهامة تتمثل في تعريف الإسلام الحقيقي، والذي يجهله كثير من معتنقيه، ناهيك عن غيرهم. مع أن هذا التعريف متاح للعامة منذ أيام فجر الإسلام، وقدمه النبي ﷺ حين سئل عن أي الإسلام أفضل؟ قال: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ.»[٤]

وفي مناسبة أخرى يقدم خاتم النبيين ﷺ نفس التعريف للمسلم ولكن من منظور أوسع، فقال: «وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا»[٥]..

فالواضح أن الروايتين المذكورتين تُقدمان تعريفا للإسلام يجاوز كونه مجرد اعتقاد إلى كونه سلوكا عمليا، وهذا السلوك العملي هو الهدف من الاعتقاد أصلا! إذ إن الاعتقاد لا يمكن أن يصدقه سوى الممارسة العملية، وقد اشتهر عن الحسن البصري قوله: «ليس الإيمان بالتمنّي، ولا بالتحلّي، ولكن ما وقَر في القلب، وصدَّقه العمل.»[٦]

ومن أخبار المُحدَثين، مما روي عن الشيخ محمد عبده، أنه عندما عاد من سفرته إلى أوروبا قال قولته المشهورة التي لا تزال إلى يومنا هذا تتردد على ألسنة الكثير من المسلمين، قال: «رأيت في أوروبا إسلاما بلا مسلمين، وفي بلدنا مسلمين بلا إسلام». وما دعا الشيخ إلى قولته هذه، ما لفت نظره مِن أن أهل أوروبا يحترمون الآخرين، ويتعاملون معهم بأمانة وصدق، ويتعاطفون معهم إذا نزلت بهم نازلة، ويحاولون مساعدتهم على تجاوزها، بغض النظر عن أصولهم وأديانهم ولغاتهم وألوانهم. أخذ محمد عبده يتأمل هذا الأمر، وعقد مقارنة سريعة بين أخلاق المسلمين وأخلاق الأوروبيين، فوجد أن الأوروبيين المسيحيين يتخلقون بأخلاق الإسلام في سلوكهم وأعمالهم ومعاملاتهم، على حين أن معاصريه من المسلمين بعيدون كل البعد عن أخلاق دينهم.

لقد كثرت في زماننا الحاضر العمليات الإرهابية في البلاد العربية والغربية على حد سواء باسم الإسلام، حتى بات هناك خوف مرضي لدى الغرب من الإسلام ومُعتنقيه، فظهر مصطلح «الإسلاموفوبيا» عند الغرب، أي الخوف المرضي من الإسلام. ويعلق أمير المؤمنين، الخليفة الخامس للمسيح الموعود عليه السلام، سيدنا مرزا مسرور أحمد (أيده الله تعالى بنصره العزيز) على هذه الظاهرة فيقول: «تجدُ القوى المعادية للإسلام فرصة لتشويه سمعته، ولينعتوه أنه يعادي الأمن والسلام، لذلك قد أرشدنا المسيح الموعود عليه السلام سلفًا وقال بأن الظلم والهمجية التي تُمارَس باسم الجهاد تنافي تعاليم القرآن الكريم، لذا فكل من يفعل ذلك يخالف تعاليم الإسلام وسيلقى العقاب عند الله تعالى.»[٧]

**الإسلام والمسؤولية الاجتماعية**

في الآونة الأخيرة، أخذ مصطلح المسؤولية الاجتماعية وأخلاقيات الأعمال يغزو إدارات الشركات الغربية، حيث أدركت تلك المؤسسات أنه مما يتعذر عليها أن تتجاهل المحيط الذي تعيش فيه. فأصبح لزامًا عليها أن تكرس للبيئة ولمجتمعها جزءًا من أموالها ووقتها. بينما يراقبها المجتمع عن كثب أين ترمي نفاياتها؟ وهل تتسبب في تلويث الهواء بمخلفاتها الكيماوية أثناء التصنيع؟ أم تحتاط لهذا الأمر؟ وهل تصدر ضجيجًا تؤذي به الجوار؟ أم أنها استثمرت في الجدران العازلة للصوت؟ وهل تسهم في الأعمال الخيرية؟ وأسئلة أخرى من هذا القبيل. لكن، ألا نسأل أنفسنا، كمسلمين، بدورنا: ألم نسبق بقرونٍ تلك الشركات والدول المتقدمة التي أدركت الآن فقط أنه من الضروري التخلي عن أنانيَّتها ولهاثها الأعمى وراء التحصيل المادي دون الاهتمام بحاجات المجتمع والبيئة التي تحتضنها؟!

فما أروع تعاليم ديننا! حينما يوجهنا أنه على كل مسلم أن يحاول تنظيف الطرق والشوارع والأماكن العامة ويساعد في ذلك قدر الإمكان وأنه يُثاب على هذا العمل سواء وُجِدَتْ

قوانين دنيوية تُقنن ذلك أم لا! ويضرب الشباب الأحمديون أروع الأمثلة، في أنحاء العالم، في وضع تلك التعاليم السامية قيد التنفيذ، في ترجمة عملية لحديث رسول الله ﷺ حين قال: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخَّرَهُ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ.»[٨]

ولم تكتفِ السنة النبوية بتوجيهنا إلى معاملة الناس بالحسنى، بل أظلت تعاليمه السامية الحيوانات أيضًا، فلا نظلمها: فقد ورد عن عبد الله بن عمر ﷺ أنه مر بنفر قَدْ نَصَبُوا دَجَاجَةً يَتَرَامَوْنَهَا فَلَمَّا رَأَوْا ابْنَ عُمَرَ تَفَرَّقُوا عَنْهَا فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: «مَنْ فَعَلَ هَذَا؟ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَعَنَ مَنْ فَعَلَ هَذَا.»[٩]

## دين السلام

الواجب على المواطن المسلم إذا رأى إنسانا مُشرفًا على الهلاك أن ينقذه، وإلا حلَ به سخط الله وغضبه الشديد. وألَا يصوب الأسلحة إلى أخيه ولو مزاحًا. وأمْر القرآن واضح بهذا الشأن، حيث يقول عز وجل: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا.﴾[١٠]

إن ما سبق من توجيهات تنتهي عند حدود كف الشر، فماذا عن جلب الخير والنفع؟!

يقول عز وجل: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ.﴾[١١]

## سوء المطبقين لا يعني سوء التعاليم

عجيب هو أمر تلك الفئة الإرهابية في وقتنا الحاضر التي تسمي نفسها مسلمة وفي الوقت ذاته تقوم بأفعال مخجلة تخالف التعاليم الإسلامية كالعمليات الانتحارية التي يدعونها استشهادية زورا وبهتانا، والعنف والإجرام ضد الأشخاص الأبرياء، أطفالًا ونساءً وشيوخًا، متخذة الإسلام والجهاد في سبيل الله غطاءً، فحسبنا الله ونعم الوكيل!

الإسلام هو دين السلام، وهو الضمان لحل جميع الأزمات المعاصرة سواء كانت على مستوى الفرد أو على مستوى العلاقات الدولية التي تتأجج رويدًا رويداً لتشمل العالم بأسره.

لقد لفت سيدنا أمير المؤمنين نصره الله انتباه زعماء العالم لهذا الأمر في مناسبات على الساحة العالمية.

وإن ديننا الحنيف يحذرنا من الاستسلام لليأس بل يشجع على الصمود في وجه المصاعب والمصائب كجبل شامخ.

وإن علينا أن نشق لأنفسنا طريق النجاح ولا ننتحر للتهرب من المسؤولية لأن الإسلام يمقُت الجبن، ويعلمنا الشجاعة والإقدام.

وخلاصة القول أن جميع الأنبياء بدون استثناء دعوا إلى توحيد الله والخضوع له. بهذا المعنى، كان دينهم جميعًا «الإسلام» (أي الاستسلام لله).

**الهوامش:**

١ – (المائدة: ٤)

٢ – (آل عمران: ٨٦)

٣ – (صحيح البخاري، كتاب الإيمان)

٤ – (سنن الترمذي، كتاب الزهد عن رسول الله)

٥ – هذا قولٌ حسنٌ يشيع ذكره على أنه حديث نبوي، غير أنه بعد التحقيق ثبتت نسبته إلى الحسن البصري، ورواه ابن النجار في (ذيل تاريخ بغداد) [تاريخ بغداد وذيوله: ٣٤/١٧]، والدَّيلمي في (مسند الفردوس) [٥٢٣٢]، ولكنه لا يثبت مرفوعًا إلى النبي ﷺ.

٦ – مرزا مسرور أحمد، درس القرآن في ٢٠١٧/٦/٢٥

٧ – مرزا بشير الدين محمود أحمد، الأحمدية: أي الإسلام الحقيقي، ص٢٠٠

٨ – (صحيح البخاري، كتاب الأذان)

٩ – (صحيح مسلم، كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان)

١٠ – (المائدة: ٣٣)

١١ – (البقرة: ١١٣)

رضي الله تعالى عنه وجعل الجنة عليه مثواه[1]

---

١

٢ - (صحيح البخاري، كتاب الرقاق)

altaqwa.net
الجن بين الحقيقة والخرافة
أغسطس 2022
سبتمبر 2022
أكتوبر 2022
نوفمبر 2022
ديسمبر 2022
مارس 2022
إبريل 2022
مايو 2022
يونيو 2022
يوليو 2022
أكتوبر 2021
نوفمبر 2021
ديسمبر 2021
يناير 2022
فبراير 2022

# AL-TAQWA

Monthly Islamic Magazine Vol. 39- Issue 2, June 2026

www.altaqwa.net